عناية الإسلام بالعقل وكيفية المحافظة عليه

إعداد الباحثان

الدكتور/ **فتحي محمود محمد عبد الرحمن**

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران
والمدرس بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط جامعة الأزهر

والدكتور/ **خالد محمد سالم آل خرصان**

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة .

أما بعـــــد

لقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماما كبيرا، وأعلى من منزلته وقيمته، ويكفي ما ورد في كتاب الله تعالى من الآيات الكريمة التي تؤكد هذه الأهمية وتلك المكانة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)، ومن المعلوم أن من أبرز ما فضل الله به الإنسان على سائر مخلوقاته العقل.

فان الله – ﷻ – امتن على الإنسان بهذه النعمة الذي ميزه به عن سائر الحيوانات. وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكاليف الشرعية الإلهية، وتؤهله لإدراكها وفهمها.

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتكريمه، والاعتماد عليه في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية، ويبدو هذا واضحا في آيات كثيرة من كتاب الله، مدح الله عز وجل فيها العقل، ورفع من شأنه، من خلال توجيهه إلى النظر، والتفكر، والتدبر، والتأمل.

ويكفي الإشارة إلى أهمية "العقل" في كتاب الله أنها تكررت ومشتقاتها حوالي سبعين مرة، ناهيك عن الآيات التي تتصل بالعمليات العقلية كالتفكر والتأمل والنظر بتمعن في آيات الله في الأنفس والآفاق، والتي لا يمكن حصرها من كثرتها في كتاب الله.

---

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف التالية:

١. التعرف على المفاهيم المتعلقة بالعقل .
٢. إيضاح عناية الشريعة الإسلامية بالعقل .
٣. معرفة مكانة العقل في الإسلام

منهج البحث:

وقد استخدمنا في هذا البحث المنهج التحليلي القائم على تحليل محتويات النصوص واستخراج المعنى منها، وإبرازه في صورة مبسطة، وصياغتها بصيغة موضوعية.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع .

أما **المقدمة:** فقد اشتملت على أهمية الموضوع، والهدف من الدراسة، ومنهج البحث وخطة البحث .

ـ وأما **التمهيد** فقد تتضمن:

أولا: مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح.

ثانيا: مفهوم العقل في القران والسنة.

ـ وأما المباحث فقد جاءت مرتبة على النحو التالي:

المبحث الأول: مكانة ومنزلة العقل في الاسلام.

المبحث الثاني: تشريعات الاسلام لحفظ العقل الإنساني.

المبحث الثالث: مجالات العقل في العقيدة الاسلامية.

ـ **الخاتمة:** وقد اشتملت على أهم نتائج البحث .

ونسأل الله أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا أنه ولى ذلك والقادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل .

التمهيد

أولا: مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح:

العقل لغة: قال ابن منظور: العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والمَعْقُول: ما تَعْقِله وتدركه بقلبك، والعَقْلُ: التّثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التّوَرُّط في المَهالك أَي يَحْبسه، فالعاقِلُ هو الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هواها، وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً: َهِمه[١]، والعقل: المنع، لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل[٢]. ولذلك ذهب أبو بكر الرازى؛ الى تعريف العقل لغوياً؛ فقال هو صفة التوقف والرباط؛ ومحل الفهم والادراك؛ وهو معنى مستفاد من أحد أحاديث النبي محمد – ﷺ –؛ اذ أومئ الرسول بهذا المعنى حينما قال للرجل الذى ترك دابته طليقه وزعم انه متوكلاً؛ فقال له النبى – ﷺ –: " اعقلها وتوكل "[٣]، فالمقصود بالعقال فى هذا المقام الرباط؛ ومن هنا عرف أبو بكر الرازى العقل بأنه الرباط والتوقف؛ وهذا المعنى أيضا يفيد أن كل الأمور؛ صغيرها وكبيرها؛ حتما على الإنسان العاقل ان يوقفها أمام عقله ليعرضها عليه بأدواته وعلومه العقلية ليخرج معها وبصددها برأى وعقيدة؛ لأنه المختص بالتعامل معها .. [٤] .

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ): ٤٥٨/١١ – ٤٦٢، الناشر: دار صـــادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ .

(٢) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، صـــ ٦٧، تحقيق: د/ مازن المبارك، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ.

(٣) سنن الترمذى لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيســى (ت ٢٧٩هـ): ٦٦٨/٤، ح (٢٥١٧)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمـد فـؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م .

(٤) مختار الصحاح لأبى بكر الرازي، صـ ٤٤٦ بتصرف، ط: بيروت .

يفهم من هذه المعاني للعقل أنه به تدرك الأمور وتفهم، وبه تميز الأمور، فيُعرَف به ما فيه مصلحة الإنسان وما فيه مفسدته، فيكون سبباً في البعد عن المهالك وسبباً في البحث عن المنافع.

العقل اصطلاحاً: عرف العلماء العقل بتعريفات كثيرة، بعضها يجعل العقل هو الروح، لأن العقل لا إدراك له بلا روح، وبعضها يجعله هو القلب، لأن محل العقل القلب، وبعضها يجعله هو الإنسان لأن ما يميز الإنسان عن غيره العقل، وبعضها يجعله غريزة تعرف بها العلوم، وبعضهم يجعله ذات العلوم.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: " إن العقل يطلق على أربعة معانٍ:

فالأول: الوصف الذي يُفارِق الإنسان به سائرَ البهائم، وهو الذي استعدَّ به لقَبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميِّز بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد.

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن حنَّكَتْه التجارب، وهذَّبَتْه المذاهب يقال: إنه عاقل في العادة، ومَن لا يتصف بهذه الصفة، فيقال إنه غبي غُمْر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

الرابع: أن تنتهي قوَّة هذه الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذَّة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوَّة سمِّي صاحبُها عاقلاً من حيث إقدامه وإحجامه، بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب، لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه أيضًا من خواصِّ الإنســان التي بها يتميز عن سائر الحيوان " (١).

(١) انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي: ٧٢/١، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

أما الجُوَيني (إمام الحرمين) فإنه قال: " العقل غريزة يتأتَّى بها ادرك العلوم وليست منها " [١].

وبعض العلماء يستعمل العقل اصطلاحاً في معانيه اللغوية، وهو الأقرب لتعريف حقيقته وماهيته.

ولذلك عرف كثير من العلماء العقل بأنه التعقُّلُ وإدراكُ العلوم، فلم يلتفتوا إلى إثبات ماهية العقل، بل عدوا العقل هو ذات العلوم، ومنهم من لم يعمموا في ذلك كل علم، بل جعلوه في حدود العلوم البدهية التي يدركها كل أحد فقالوا:

« العقل: مناط التكليف »[٢].

و« هو العلم ببعض الضروريات »[٣]، فلا يكون تكليفٌ بالإيمان إلا بوجود العقل، أو بوجود تلك العلوم التي تُوصِلُ إلى إدراك الحقائق الإيمانية.

وهذا المعنى ليس ببعيد عن طريق القرآن الكريم، فقد أطلق العقل على المعقولات والمعلومات التي يدركها العقل، كما سيأتي بيانه.

والذي يترجح من تلك التعريفات السابقة وغيرها أن العقل: هو اللطيفة التي يدرك بها الإنسان العلوم والمعاني والأشياء، وبها يميز بين الحق والباطل، والنافع والضار.

ومعنى قولنا: « لطيفة » أي إن العقل أمر معنوي موجود، لكنه غير حسي، وإن ارتبط بموضع حسي من الجسد.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(ت ٧٧١هـ): ٤١/٢، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/عبدالفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤١٣هـ.

(٢) المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: ٨٦/٢، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٧م. وذكر الإجماع على ذلك من أهل الملة.

(٣) انظر في تعريفات العقل: التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، صـ ١٩٦، ١٩٧، رقم ٩٨٥، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥هـ، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، صـ ٦٧.

ثانيا: مفهوم العقل في القران والسنة:

مدح الله تعالى مسمى العقل في القرآن الكريم في غير آية. كذلك رويت أحاديث نبوية كثيرة عن فضل العقل الإنساني، منها قول النبي – ﷺ –: (إن الرجل ليكون من أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الحج وأهل الجهاد فما يجزى يوم القيامة إلا بقدر عقله) (١) .

وعن علي قال: قال رسول الله – ﷺ –: (والله لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صيامًا ولا حجًا ولا اعتمارًا، ولكنهم عقلوا عن الله تعالى مواعظه فوجلت منه قلوبهم واطمأنت إليه النفوس وخشعت منه الجوارح ففاقوا الخليقة بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة) (٢).

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن القرآن الحكيم مملوء من ذكر الآيات العقلية أي التي يستدل بها العقل، وهي شرعية دل عليها وأرشد إليها، ولكن كثيرًا من الناس لا يسمي دليلاً شرعيًا إلا ما دل بمجرد خبر الرسول – ﷺ – وهو اصطلاح قاصر (٣).

---

(١) المعجم الأوسط للطبرانى لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ): ٢٥١/٣، ح (٣٠٥٧)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

(٢) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ): ٢٢٥/٢٩، ح (٥٩١٥)، ضبطه وفسر غريبه صححه ووضع فهارسه = = ومفتاحه الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا، ط: مؤسسة الرسالة، وراجع: بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية، صـ ٦٠، تحقيق: د/ موسى سليمان الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، ط: الأولى ١٤٠٨هـ .

(٣) النبوات لابن تيمية، صـ ٥٢، المكتبة السلفية ١٣٨٦هـ. وراجع: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين المؤلف: د/ مصطفى محمد حلمي، صـ ١٥١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٦ هـ.

ولذلك ذكرت مشتقات لفظة العقل في القرآن الكريم والسنة كثيراً، وغالباً ما تطلق على أحد ثلاثة أمور:

١- العقل: من حيث هو آلة لإدراك العلم:

والعقل: من حيث عملية الإدراك والتعقل التي توصل لإدراك العلوم، والعقل: بمعنى العلم الذي يستفاد بالعقل(١).

العقل بمعنى الشيء الذي به يعقل الإنسان ويدرك العلم والمعاني والحقائق: " وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل، فالعقل فيه بهذا المعنى "(٢).

قال - ﷺ -: « رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم »(٣).

---

(١)وقد ذكر الراغب في مفردات القرآن، صـ ٣٤١، اثنين منهما، فعبر عن ذلك بقوله: « العقل: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ».

(٢) مفردات القرآن للراغب، صـ ٣٤٢.

(٣) حديث صحيح، وفي رواية للحديث: « عن المجنون حتى يبرأ، - وفي رواية: يفيق - وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقِل »، روى هذا الحديث على اختلاف في ألفاظه وتقارب في معناه: الترمذي في جامعه رقم ١٤٢٣، وأبو داود في السنن رقم ٤٣٩٨ و٤٤٠١ و٤٤٠٣ وابن خزيمة في صحيحه رقم ١٠٠٣، تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، وابن حبان في صحيحه ح (١٤٢، ١٤٣)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، والحاكم في مستدركه على الصحيحين، رقم (٩٤٩)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م، وصححه على شرط الشيخين، والدارقطني في سننه رقم (١٧٣)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، وغيرهم، والحديث بمجموع رواياته وشواهده يصل إلى حد الصحة. وقوله عن الصبي حتى يعقل أي يبلغ الاحتلام كما بينته روايات أخرى.

٢- العقل بمعنى استعمال العقل في عملية التعقل والفهم والإدراك والتمييز:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجّوكُم بِهِ عِندَ رَبّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾(١)، أي لماذا لا تستعملون عقولكم، لتعلموا بها ما يجب أن تعلموه، والآية تدل على أن الذي يستعمل العقل ويستفيد من معلوماته التي أدركها، ويبني قناعاته وتوجهات قلبه عليها، ثم يعمل بجوارحه بما يوافق ذلك فهو العاقل حقاً، وأما مَن أدرك شيئاً وعرفه ثم تصرف بخلافه فكأنه بغير عقل، لأنه يستوي مع غير العاقل في عدم الاستفادة من المعلومات، لكنهما لا يستويان في أثر ذلك، فمن لا عقل له لا حساب عليه، ومن لا يستفيد من عقله ومعلوماته فهو محاسب على ذلك، ووصفه بعدم العقل من باب التقريع له والتنبيه.

قال تعالى ذاكراً قول الكافرين يوم القيامة: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنّا فِي أَصْحَابِ السّعِيرِ ﴾(٢)، فهؤلاء لم يستعلموا عقولهم، ففاتهم معرفة الحق، ونتج عن ذلك أن تكون حياتهم وأهواءهم وأعمالهم كلها خاطئة خاسرة ... فالآيات نافعة لمن يستعمل عقله في النظر إليها والتفكر بها فيهتدي بذلك إلى معرفة خالقها وقدرته.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾(٣)، فهؤلاء وصفوا بأنهم لا يعقلون لأنهم لا يستعملون عقولهم فيما يجب أن تدركه وتعرفه.

وعن أنس بن مالك - ﷺ - قال: كان رسول الله - ﷺ - يُعيدُ الكلمة ثلاثاً، لتُعقَل عنه(٤)، أي لتفهم عنه ويُدركَ معناها.

---

(١) سورة البقرة الآية (٧٦).
(٢) سورة الملك الآية (١٠).
(٣) سورة البقرة الآية (١٧٠).
(٤) أخرجه الترمذي رقم ٣٦٤٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ونحوه الحاكم رقم (٧٧١٦) وصححه على شرط الشيخين.

٣- العقل بمعنى المعقول والمعلوم الذي يدرك بالعقل:

ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١]، أي لتعرفوا ما هو معقول يفهمه العقل ويدرك صوابه وأنه حق وخير.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٢]، لا يعرفون قدر هذا النبي - ﷺ -، وهذا الأمر يدركه العقل بالتفكر والأخذ عن الشريعة.

وقوله سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٣] أي وما يعلمها.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤] وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٥]، أي لعلكم تعرفون ما يُدرَكُ بالعقل.

وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فالمقصود فيه عدم علمهم لما يجب أن يعلموه بعقولهم[٦]، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[٧]، أي لا يعرفون ما يجب أن يعرفوه بعقولهم، وذلك لأنهم لا يستعملون العقل.

والقرآن يستعمل العقل بهذا المعنى كثيراً، وينفي وجوده عن الكافرين، ولا ينبغي أن يُظَنّ أنه ينفي عنهم العقل الذي به التكليف ولذلك: « يطلق العقل في الشريعة على شيئين: أولاً: على ما هو مناط فهم الخطاب، وإذا وجد فقد أصبح

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٥١).
(٢) سورة الحجرات من الآية (٤).
(٣) سورة العنكبوت الآية (٤٣).
(٤) سورة يوسف الآية (٢).
(٥) سورة الزخرف من الآية (٣).
(٦) مفردات القرآن للراغب، صـ ٣٤٢ بتصرف يسير.
(٧) سورة البقرة الآية (١٧١).

الإنسان مكلفاً ضمن شروط. ثانياً: على قبول خطاب الشـــارع والعمل به، وذلك هو العقل الشرعي. وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[١] ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٢] ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[٣] »[٤].

وقد وردت الآيات القرآنية التي فيها "مادة عقل"، "بصيغة فعل المضارع على سبيل الاستفهام " أفلا تعقلون " أو الترجي " لعلكم تعقلون " أو التقرير " لقوم يعقلون " أو النفي " لا يعقلون " [٥].

كما أن هناك مرادفاتٍ للعقل في القرآن مثل: " أولي الألباب " و" أولي النهى " ... الخ. والآيات التي وردت بهذه الصيغ لطرح مختلف القضايا والأحكام التي يحتاجها الإنسان في حياته، ويطالب فيها بتحكيم العقل للوصول إلى الحكمة من تشريعها، حتى لا تغلب عليه الشـــهوة أو الهوى أو الشيطان. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة الملك الآية (١٠).
(٢) سورة الحشر من الآية (١٤).
(٣) سورة الأعراف من الآية (١٧٩).
(٤) الأساس في السنة وفقهها، قسم العقائد لسعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ): ٢٩/١، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
(٥) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسُّنَة لمحمد علي الجـوزو، صـــ ٥٥، ط: دار العلـم للملايين، بيروت، ط: الأولى ١٩٨٠م.
(٦) سورة الأنعام الآية (١٥١).

هل للعقل مكان في الجسم:

اختلف العلماء في محل العقل، فقال بعضهم: محله الدماغ في الرأس، وقال آخرون: محله القلب في الصدر[1]، ولذلك يسمى العقل قلباً أحياناً، وقال بعضهم: ليس له محل خاص في الجسد، وإنما هو نور روح وسميت الروح عقلاً لأنها مُدْرِكة[2].

ولا شك أن العقل مستمِدٌّ من الروح ومرتبط بها كارتباط سائر عوالم الإنسان، لكن لا بد من التفريق بين العقل والروح، فقد يكون الإنسان حياً بروحه، وليس صاحب عقل، فيسقط عنه التكليف، وقد يكون حياً ذا روح وصاحبَ عقلٍ ومكلفاً، ومع ذلك يوصف بأنه ليس بعاقل لعدم استعماله عقله، ولذلك جاز وصف الكافرين والمنافقين بأنهم ﴿ لا يعقلون ﴾[3].

والقول بأن العقل هو في القلب تشهد له النصوص في ظاهرها أكثر من الأقوال الأخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾[4]، فوصف القلوب بأنها تعقل، وقوله: « بها » يدل صريحاً على أن القلب هو آله التعقل، على رأي من يقول بذلك. وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[5]، والفقه هو الفهم والإدراك وهو عمل العقل، فلما وصف القلب أنه لا يفقه دل على أن العقل الذي فيه هو الذي لا يفقه ولا يدرك. ويشهد لذلك

---

(١) قال ابن منظور: « والعَقْلُ: القَلْبُ، والقَلْبُ: العَقْلُ »، لسان العرب، مادة (عقل)، وقال الجرجاني في كتابه التعريفات صـ ١٩٧: « وما يعقل به حقائق الأشياء قيل محله الرأس وقيل محله القلب ».

(٢) يقولون: العقل والقلب والنفس كلها هي الروح، لكنها من حيث هي مدركة تسمى عقلاً، ومن حيث هي ذات عواطف متقلبة تسمى قلباً ومن حيث هي ذات غرائز وشهوات تسمى نفساً.

(٣) كقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٧١] .

(٤) سورة الحج من الآية (٤٦).

(٥) سورة الأعراف من الآية (١٧٩).

قول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(١)، ومعلوم أن المسؤولية تترتب على العقل(٢)، فلما جعلها مترتبة على الفؤاد مع السمع والبصر دل على أن الفؤاد هو محل العقل.

وعلى القول بأن العقل والتعقل محله القلب، فيكون القلب محلاً لثلاثة أشياء:

الأول: العقل، فيكون القلب بالعقل الذي فيه هو الذي يميز بين الأشياء والحقائق والمتقابلات من خير أو شر.

الثاني: العواطف والأهواء، فيكون القلب بما فيه من عواطف وميول ورغبات هو الذي يميل بصاحبه إلى خير أو شر أو إلى مصلحة أو مفسدة.

الثالث: الإرادة، فتنشأ عن تلك المعقولات وعن الرغبات إرادة موافقة للعقل أو مخالفة له، تحقق رغبة صحيحة أو رغبة فاسدة.

استقبال القلب بعواطفه للحقائق التي يدركها العقل يسمى عقلاً، لأنه من مقتضى التصديق بالعقل، ومن مقتضى الانتفاع به ومن قال بأن العقل في الدماغ تشهد لقوله النصوص السابقة نفسها، فإن المخاطبين بما سبق هم من أهل العقول، ولو كانوا غير عقلاء لما جاز أن يخاطبوا بالتكليف، فدل ذلك على أن العقل موجود رغم عدم وجوده في القلب، أو رغم عدم عقل القلب، ودل ذلك على أن العقل يستعمل بأكثر من معنى، فاستقبال القلب بعواطفه للحقائق التي يدركها العقل يسمى عقلاً، لأنه من مقتضى التصديق بالعقل، ومن مقتضى الانتفاع به.

« فالعقل: هو محل إدراك الخطاب، فحيثما وجد كان التكليف، والقلب: هو محل القبول للتكليف، فهو صاحب القرار في القبول والرفض. والظاهر من التجربة ومن النصوص ومن الإحساسات ومن الأذواق؛ أن العقل الذي هو محل

---

(١) سورة الإسراء من الآية (٣٦).

(٢) وهذا أمر متفق عليه عند العلماء.

إدراك الخطاب مقره الدماغ، وأن القلب الذي هو محل القرار في القبول والرفض مقره الصدر »[١].

وقد يشهد لذلك أن الإنسان يحس بأن محل التفكير الدماغ، كما يشهد لذلك أن الإنسان إذا أصيب دماغه في بعض المواضع يفقد تفكيره.

وقد استدل بعض العلماء على كون العقل في الدماغ بقوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[٢]، فنسب الخطأ والكذب إلى الناصية، مما يدل على أنها محل التفكير الذي يدفع إلى الكذب والخطأ هو في الناصية، وهي مقدمة الرأس[٣].

وقد يقال إن إدراك العقل يختلف عن إدراك القلب، في أن العقل والدماغ يدرك حقائق الأشياء علمياً، والقلب يدركها ذوقياً، فالعقل – مثلاً – يدرك معنى الخوف، والقلب يحس بالخوف ويشعر به، والعقل يدرك معنى الحب وأنه ميل قلبي، والقلب يتذوق الحب، ويحس بما فيه من شوق وعاطفة وميل.

– وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هناك علاقة بين العقل وبين الدماغ والقلب معاً، فقالوا: إن العقل في القلب وليس في الدماغ، لكن الدماغ عبارة عن الشاشة التي تتلقى إدراكات العقل ومعلوماته من القلب لذلك يحس الإنسان أن التفكير في رأسه ودماغه[٤].

وبغض النظر عن محل العقل، فإن الذي يهمنا في هذا البحث حيثما ذكرنا العقل أن نتكلم عما يدركه العقل ويعرفه ويميزه، سواء أدركه في القلب أو في الدماغ أو بالروح، فلا يتوقف على هذا الأمر أثر في علم التزكية.

---

(١) الأساس في السنة وفقهها، قسم العقائد: ١/ ٢٤.

(٢) سورة العلق الآية (١٦).

(٣) قال في لسان العرب: ١٥/ ١٢٦: « النّاصِيةُ: واحدة النّواصي... قُصاصُ الشعر في مُقدّم الرأْس... قال الأَزهري: الناصِية عند العرب مَنْبِتُ الشعر في مقدّم الرأْس ».

(٤) للاطلاع على المزيد فيما يتعلق بالدراسات العلمية حول العقل ومحله؛ انظر: كتاب غرائب العقل: تأليف: بنفلد، ١٩٧٥م.

وقد نبه بعض العلماء إلى أن هذا الأمر لا يترتب عليه فائدة، فأينما كان العقل ومهما كانت ماهية العقل؛ فذلك لا يهمنا، إنما يهمنا إثبات عملية التعقل وما ينتج عنها من مُدركات ومعقولات، والقرآن الكريم لم يذكر العقل أبداً وإنما ذكر عملية التعقل، كقوله: ﴿ تعقلون ﴾ و ﴿ يعقلون ﴾ و ﴿ عقلوه ﴾ و ﴿ نعقل ﴾[١].

والتحقيق:

أن العقل له تعلق بالدماغ والقلب معاً، حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، والتصور محله الدماغ [٢].

ولهذا يمكن أن يقال: إن القلب موطن الهداية، والدماغ موطن الفكر؛ ولذا قد يوجد في الناس من فقد عقل الهداية – الذي محله القلب – واكتسب عقل الفكر والنظير – الذي محله الدماغ كما قد توجد ضد هذه الحال .

وهو مرتبط بالمخ الذي هو محل التفكير والمحرك لجميع وظائف العقل وتفسير وترجمة الأفعال والأقوال والحركات والربط بينها قال تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [٣].

والذي يبدو لي أن العقل الذي هو محل إدراك الخطاب مقره الدماغ، وأن القلب الذي هو محل القرار في القبول والرفض مقره الصدر

---

(١) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة: الكتاب الثالث: أصل المعرفة طرقها وأنواعها، د/ راجح الكردي، صـ ١٢٤، دار الفرقان، عمان، ط: الثانية ٢٠٠٣م.

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: ٣٠٤/٩، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ١٩٩٥م.

(٣) سورة يوسف الآية (١٧٩).

علوم العقل:

والعقل له علومه العقلية التى هى طبيعة الانسانية؛ من حيث كون الانسان ذو فكر؛ فهذه العلوم العقلية غير مختصة بملة دون أخرى؛ بل هى لأهل الملل كلهم؛ ويستوون فى مداركها ومباحثها؛ وهى موجودة فى النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة؛ وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة؛ وهى تشتمل على أربعة علوم:

العلم الأول: علم المنطق:

وهو علم يعصم الذهن من الخطأ ويساعده فى تحصيل المطالب المجهولة من الامور المعلومة؛ وذلك لاتحاد علة بينهما؛ وفائدة هذا العلم معرفة الخطأ من الصواب؛ فيما يعرض للإنسان من عوارض؛ فيصل بفكره على تحقيق الحق فيها؛ ودحض الباطل منها؛ وتأهيل الانسان بموجب هذا العلم ليقوم بذلك .. [١] .

العلم الثاني: العلم الطبيعي:

وهو علم معرفه ما وراء الطبيعة من الروحانيات؛ ومن علومها الطب .

العلم الثالث: العلم الإلهى:

فما لا يدركه العقل بقدراته؛ قد يأتى الوحى ليقرب المسافات للبشر فى هذا الشأن لفهمه؛ وادراك بعض قواعده؛ ونواميسه؛ وقوانينه؛ لأن العقل فى النهاية مقيد وفق قوالب المحسوسات من حوله؛ ومكنونات خبراته المرئية أو المسموعة او المقروءة وأشباهها؛ وهى غير كافيه لأدراك بعض الحقائق التى لا يدركها الانسان بأحد حواسه؛ كالموت أو ما يدور يوم القيامة .

---

(١) مقدمه ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون المغربى، صـــ ٣٣٥ بعنوان: العلوم العقليـــة، بتصرف، ط: دار بن خلدون، الاسكندرية.

العلم الرابع: علم المقادير:

ويقصد به العلم الذى ينظر فى المقادير من عدة ابواب؛ فمنها: علم الهندسة؛ سواء أكانت مقادير منفصلة (معدودة) أو مقادير متصلة (تختص ببعد و احد أو اكثر) [١] .

ومن هنا فان الله تعالى يحث بنى الانسان دائماً على استعمال العقل؛ وتنميته؛ واستثماره؛ بالفكر؛ والمعرفة؛ والعلم؛ والاجتهاد؛ ليكون سلوكنا متفقا مع العقل السليم؛ فى الجسم السليم؛ ومن ثم فسعيا للوصول للعقل السليم حقيق على الانسان أن يحافظ على صحة جسمه ..

(١) مقدمه ابن خلدون، صـ ٣٣٥ بتصرف يسير.

المبحث الاول

مكانة ومنزلة العقل في الاسلام

هناك عدة مظاهر تدل دلال واضحة على منزلة ومكانة العقل في العقيدة الإسلامية من هذه المظاهر ما يلي:

أولا: فريضة التفكير في الاسلام:

ينوه الإسلام تنويها كبيرا بالعقل، ويعلي من مكانته وقيمته، ويحفل به وبوسائل الإدراك ونجد خير شاهد على ذلك في الآيات القرآنية الكريمة التي تواردت بشأنه. وينبئك عن هذا أن مشتقات كلمة " العقل " تكررت في القرآن الكريم حوالي سبعين مرة. وأما الآيات التي تتصل بالعمليات العقلية وتحث على النظر والتفكر والتدبر والتبصر في آيات الله في الأنفس والآفاق، وفي حوادث التاريخ، وأحكام التشريع، وتتوجه بالخطاب لأولي الألباب ... فقد بلغت من الكثرة حدا أعطى الإسلام ميزة بين كل المذاهب والشرائع.

يقول الأستاذ العقاد: (والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه. ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه .ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين الوظائف، والخصائص في مواطن الخطاب ومناسبته.

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع، ولا في العقل المدرك الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح. بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما

يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة ...) [١]. ثم إن المذاهب الكلامية والفلسفية، والتي أرادت تمجيد العقلَ، والرفع من شأنه – حسب قولهم – لم ولن يَصلِوا بحال من الأحوال إلى عشر معشار ما بلغه الإسلام من تكريمٍ للعقلِ، وتشريفٍ له. هذا إذا لم نقول بأنهم أصلا أساءوا إلى العقل أيما إساءة، حيث أو غلوه في أمور أرفع من قدره ولا يهتدي فيها إلى سبيل، حتى صار أحدهم يأتي بالحُكم ونقيضه في مكان واحد، وإن أصاب مرة فقد تعثر مرات.

وقد غَلَت البشرية في نظرتها للعقلِ، ولا سيِّما بعد أن فتح الله للعقل مجالات رحبةٌ في علوم الفضاء والذرة، واكتشفوا كثيراً من أسرار الكَون التي كان يجهلها، وظنّت أن بإمكانها أن تستَغني عمّا جاءَ به الأنبياءُ، فطرحوا الرائعَ السماويَّة جانباً وسَنُّوا لأنفسهم الأنظمةَ، وشرَعوا لحياتهم القوانين، وأحلّوا ما اشتهَتهُ أنفسهم وحرّموا ما اشمأزّت منه نفوسهم، استناداً على ما تمليه عقولُهم القاصرة وخيالاتهم المريضة فحاربوا الدَّين السماوي بحُجة تحرير العقل من قُيوده، وإفساح المجال له ليقوم بواجبه من وضع الأنظمة وسن القوانين [٢] .

والحقيقة الجلية أمام الناظر والمتأمل هي أن ((ليس ثمةَ عقيدةٌ تقوم على احترامِ العقل الإنسانيِّ وتعتزُّ به وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلاميّة.

وليس ثمةَ كتابٌ أطلقَ سراحَ العقلِ وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم كتاب الإسلام، بل القرآن لا يكاد يُخلي سورة من سوره التي تبلغ مائة وأربع عشرة سورة من الحث على استعمال العقل والتفكير والتدبر، وذم الجمود والتقليد، وتوبيخ الذين يعطلون عقولهم عن النظر والتفكير في خلق الله

---

(١) انظر: التفكير فريضة إسلامية للأستاذ/ عباس محمود العقاد، صـ ٧، ٨، ط: مؤسسة هنداوى ٢٠١٢م، وراجع: مجلة البحوث الإسلامية، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية = = والإفتاء: ٢٨٦/٤٦، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، مصدر الكتاب: موقع الإفتاء – ملتقى أهل الحديث.

(٢) العقلانيون أفراخ المعتزلة الجدد لعلي حسن الأثري، صـ٢٢ بتصرف، الناشر: مكتبة الغرباء الإسلامية – المدينة.

ولقد أبرز الإسلام مظاهر تكريمه للعقــل واهتمامهِ به في مواضع عدّة، نذكر منها:

أولاً: قيام الإيمان على الإقناع العقليّ: فلم يطلب الإسلام من الإنسان أن يُطفىءَ مصباحَ عقلِه ويعتقدَ، بل دعاه إلى إعمال ذهنه، وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصولها إلى أمور مُقنعة في شؤون حياتها.

وقد وجه الإسلام هذه الطاقة بتوجيهاتٍ عدّة لِتَصلَ إلى ذلك:

فوجهها إلى التفكُّر والتدبر:

أ – في كتاب الله:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢).

ب – في مخلوقاته:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣)

جـــ – في تشريعاته:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥)

فأمر بالتفكر في تلك التشريعات لِتحري الحكمَة فيها، لأن الحياةَ لا تسيرُ آليةً بحيثُ تنطبقُ عليها القاعدةُ التشريعيَّة انطباقاً آلياً، وإنما هناك مئاتٌ من الحالات للقاعدة الواحدةِ، وما لم يكن الإنسان مدركاً للحكمة الكامنة وراء التّشريع

---

(١) سورة ص الآية (٢٩).

(٢) سورة محمد الآية (٢٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٩١).

(٤) سورة البقرة الآية (١٧٩).

(٥) سورة البقرة من الآية (١٨٤).

وفاهماً لترابط التّشريعات في مجموعها فلَن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تَعرِضُ للبشر في حياتهم الواقعيّة)) (١).

إلى غير ذلك من أمر الإسلام بالتفكر في أحوال الأمم السابقة والاتعاظ بما حل بهم، والتدبر في الدنيا ونعيمها.

ثانياً: لم يكره الإسلامُ أحداً على الإيمان(٢) ضمن شروط موقوفة في الكتاب والسُّنَّة، بيَّنها الفقهاء وفصلها العلماء، وإنما ترك له الخيار بين الإيمان أو الكفر ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٣)، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٤).

ثالثاً: ومن مظاهر تكريم الإسلام للعقل نَعيُه على المقلدين الذين لا يُعمِلونَ أذهانهم، وحذر من التّقليد الأعمى والتعصب الأصم لنظريّاتٍ واهية وآراء زائفة ناشئة عن الخرافات والأهواء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٥).

رابعاً: إلى غير ذلك من مظاهر التكريم التي وردت في كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- كـ أمره للعقل بالتعلم والحث على ذلك وإسناده استنباط الأحكام فيما لا

---

(١) اقتباس من كتاب (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، صـ ٢٩ – ٤٠ بتصرف بسيط، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٢) انظر قوله تعالى { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } في تفسير ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) للسعدي (ت ١٣٧٦هـ): ٣١٦/١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

(٣) سورة البقرة من الآية (٢٥٦).

(٤) سورة الكهف من الآية (٢٩).

(٥) سورة البقرة الآية (١٧٠).

يوجد فيه نص من كتاب أو سنة أو إجماع واجتهاد وهو الأمر الذي يقوم مداره على العقل وفي ذلك قوله – ﷺ –: (إذا اجتهد الحاكمُ وأصاب فله أجران، وإذا اجتهدَ وأخطأ فله أجرٌ واحدٌ) (١).

فجعل من اجتهاد العقلِ أساساً للحُكم – لمن هو أهلُه – عند فقدان النص في الأمر مع تثبيت الأجر في حال الخطأ.

ومن ذلك أيضاً تحريمه كل ما يؤثر عليه أو يغيبه أو يطيله طلاً عما يتهيه بالكلي من السكر والمخدرات إلى أمد التحريم حتى إلى الكمية قل – ﷺ: (ما أسكر كثيره فقليله حرام) (٢) كي ذلك ليحافظ على العقل وعلى بقائه سليماً.

كذلك نوه القرآن الكريم بالعقل وعول عليه في أمر العقيدة، وأمر التبعة والمسئولية، وجاء التنبيه بالرجوع إليه في كثير من الآيات، فهو ملكة تقوي الإنسان إلى القيام بالمعروف والامتناع عن المنكر، وكان اشتقاقه من هذه المادة التي تدل في اللغة على المنع، ومنها أخذ العقال، لأنه يعقل صاحبه عما لا يليق.

فالعقل هو ملكة الإدراك والفهم والتصور والرشد، والاستفادة من هذه الوظائف العقلية أمر يفرضه الإسلام، حيث يخاطب القرآن الناس ويشحذ فيهم ملكة التفكير والنظر والتدبر والتعقل، ويجعل هذا سبيل الاهتداء إلى وحدانية الله ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣)(٤) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص.

(٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، ح (٢٣٧٥)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

(٣) سورة البقرة الآيتان (١٦٣، ١٦٤).

(٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٨٣/٧.

فبما أن الإسلام دين العقل فهو يخاطب العقل بقضاياه ومقرراته ولا يقهره بخارقة مادية لا مجال له فيها إلا الإذعان. ويخاطب العقل بمعنى أنه يصحح له منهج النظر ويدعوه إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق ليرفع عن الفطرة ركام الإلف والعادة والبلادة وركام الشهوات المضلة للعقل والفطرة. ويخاطب العقل بمعنى أنه يكل إليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته، ولا يفرض عليه أن يؤمن بما لا يفهم مدلوله ولا يدركه .. فإذا وصل إلى مرحلة إدراك المدلولات وفهم المقررات لم يعد أمامه إلا التسليم بها فهو مؤمن، أو عدم التسليم بها فهو كافر .. وليس هو حكماً في صحتها أو بطلانها. وليس هو مأذوناً في قبولها أو رفضها، كما يقول من يبتغون أن يجعلوا من هذا العقل إلهاً، يقبل من المقررات الدينية الصحيحة ما يقبل، ويرفض منها ما يرفض، ويختار منها ما يشاء، ويترك منها ما يشاء .. ومن غير المتصور وغير المنطقي أن يأتي الشرع بأدلة مخالفة للقوانين العقلية الفطرية كالتماثل والاختلاف فإنها الميزان الذي يزن به الإنسان المعلومات الواردة إليه. وهذا ما يقصده شيوخ الإسلام من وصفهم لحقيقة الآيات السمعية والقولية والعقلية [(١)].

إن العلاقة بين الإبداع والعقل مترابطة جداً، فالعقل هو الجهاز الذي يفكر به الإنسان، والتفكير هو محور الإبداع، لذلك فإن العلاقة بينهما قوية، كما أن مجالات الإبداع تتنوع بحسب القدرات العقلية المتعددة مثل: " القدرة على الإدراك، والقدرة على التذكر، والقدرة على التخيل، والقدرة على الاستنباط والاستنتاج، والقدرة على التحليل، والقدرة على التركيب، والقدرة على الاستقراء، والقدرة اللغوية، والقدرة العددية أو الحسابية، والقدرة العملية، ونحوها " [(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب (ت ١٣٨٥هـ): ٨٠٨/٢ بتصرف، الناشر: دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط: السابعة عشر ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية: د/ عبد الحميد الصيد الزنتاني، ص ٤١٩، ط: الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس، ط: الثانية ١٩٩٣م .

ولذلك نلاحظ أن البعض لديه القدرة على الحفظ، لكنه ضعيف مثلا في جانب التحليل، والبعض لديه مهارة وقدرة في الجوانب الحسابية، لكنه ضعيف في جانب آخر، والبعض قد وفقه الله تعالى بأن جمع له قدرات متعددة.

ولما أن العقل غريزي ومكتسب، فإن محور عمل التربية يتركز على تنمية العقل المكتسب، من خلال المناهج الدراسية، وأساليب طرق التدريس التي تحرك عقل المتعلم نحو التفكير الجيد والبناء، وأن لا يكون أداة للاستماع فقط، فإذا نجحت التربية في هذا استطاعت أن تسهم في تنمية الجوانب الإبداعية لدى المتعلمين. وحين تتأمل في كل هذه الظواهر التي وجهت للنظر التفكيري فيها نجد أن اكتشاف آيات الله فيها يبدأ عن طريق لفت الإنسان بإسماع الكلام، ثم يعقل ليتوجه العقل إلى التأمل والبحث العلمي الهادئ الرصين.

ومن هذه الأدلة وغيرها من الأدلة في الكتاب والسنة النبوية المطهرة والفقه الإسلامي نرى منهج الرحمن في تكريم عقل الإنسان، وتقدير المسلمين لإعمال هذا العقل في تعمير الكون بنواميس الله في الخلق وفق منهاج إيماني بعيدا عن العلمانية (بفتح العين) الإلحادية والداروينية القائمة على المصادفة والعشوائية المجافية لآيات الله في الخلق وتدبيره المحكم لمخلوقاته وخلق كل شئ في هذا الكون وفق ميزان الحكمة والتقدير الإلهي في الخلق [١] كما قال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[٢] وفي كل هذا تقدير وتكريم لعقل الإنسان الصريح البعيد عن اتباع الهوى وتعطيل العقل عن الإيمان بالخالق العليم الخبير اللطيف – ﷻ –.

---

(١) انظر: كتاب براهـــين وأدلة إيمانيـــة للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميـــداني – / –، صـــ ٤٣، ط: دار القلم، دمشق ١٩٨٧م .

(٢) سورة الفرقان الآية (٢).

وأما ورود "العقل" في القرآن فأكثره قد جاء في الكلام على آيات الله، وكون المخاطبين بها والذين يفهمونها ويهتدون بها هم العقلاء، ويراد بهذه الآيات في الغالب آيات الكون الدالة على علم الله ومشيئته وحكمته ورحمته .. ويلي ذلك في الكثرة آيات كتابه التشريعية ووصاياه، كقوله تعالى في تفصيل الوصايا الجامعة من آخر سورة الأنعام: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) .

وجعل إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة بقوله في أهل النار .. ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٢) وكذلك آيات النظر العقلي والتفكر كثيرة في الكتاب العزيز فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر.. " (٣).

أدلة الشرع عقلية ونقلية:

أثبت علماء العقيدة أن أدلة الشرع عقلية أيضًا وليست نقلية فحسب، فإن القرآن الكريم جاء بالأدلة العقلية على أصول الدين وأقسامه، وبالتنصيص منه على الحقائق الدينية على البراهين المنطقية التي تخاطب الإنسان أينما كان وحيثما وجد. وكلها دل عليها القرآن الذي وصفه الله -تعالى- بأنه يهدي للتي هي أقوم: ومن هذه الدلائل الأنفس والآفاق التي يدعو القرآن الحكيم للنظر فيها والاعتبار بها والتفكر في نظمها(٤).

أما الأولى فهي دلالة الأنفس، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٥١).
(٢) سورة الملك الآية (١٠).
(٣) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا، (ت ١٣٥٤هـ)، صـ ٢٤٤، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.
(٤) ينظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، صـ ١٥٥ .
(٥) سورة عبس الآيات (١٧ – ١٩).
(٦) سورة الذاريات الآية (٢١).

أما دلالة الآفاق فإن القرآن الكريم يحثُّنا على تدبر ما يحدث حولنا في عالمنا الذي نعيش فيه وما يطرأ من تغيرات تتعاقب فيه في أوقات محدودة وأزمنة معروفة كطلوع الشمس والقمر والكواكب وغروبها ودوران الأفلاك والنجوم والسفن الجاريات في البحار والرياح وتغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق وإنزال الأمطار فتسقي الزرع وتنبت الأشجار والفواكه والأزهار والثمار وتمد البحار والأنهار والآبار، وما في اختلاف الليل والنهار والفصول، وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)(٢).

وقد جمع الله تعالى دلالتي النفوس والآفاق في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٣)(٤).

وذلك أننا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين، عالمين، ناطقين، سامعين، مبصرين، مدركين، بعد أن لم نكن شيئًا وأن أول وجودنا كان نطفة مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الاستواء بحيث يمتنع في عقل كل عاقل أن يكون منها بغير صنع حكيم وما يختلف أجناسًا وأنواعًا وأشخاصًا.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٤).

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني، صـ ٤٣ – ٤٩ – ٥٠ بتصرف، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٩٨٧م .

(٣) سورة فصلت من الآية (٥٣).

(٤) وتزداد معرفتنا بأنفسنا على ضوء العلم حيث عرَّفنا بأن نحو الخلية البشرية يشكل معجزة إلهية. وكيف لهذه الخلية أن تتحول إلى جهاز هضمي وجهاز تنفسي وجهاز عصبي وإلى مخ لو أريد صناعة مثله لكان المصنوع في حجم الكرة الأرضية صـ ٢٢ من كتاب: الذين يلحدون في آيات الله للدكتور/ كامل سعفان، ط: دار المعـارف ١٩٨٣م. مـنهج علمـاء الحديث والسنة في أصول الدين، صـ ١٥٦.

أما الأجناس فهما نبه عليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾(١).

وأما الأشخاص فبقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (٢). فهذا هو الفكر المأمور به، وهو أي النظر في هذه الأمور وهي طريقة السلف التي اتبعوها مستندين إلى كتاب الله – ﷻ – (٣) وقد ظل هذا المنهج موحدًا بين علماء الحديث والسنة على مر الأعصار، فنجد الإمام عبد الحميد بن باديس – رحمة الله عليه – ينبهنا في العصر الحديث إلى ضرورة اتباع هذا المنهج دون غيره لأنه العاصم من الزلات فيقول: (ونحن معشر المسلمين قد كان للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل وإن كنا به مؤمنين. بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة وإشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثة). ويرى الإمام ابن باديس أن الأقيسة العقلية في القرآن كافية للرد على المخالفين، فقد قال تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (٤). وتفسير ذلك: (ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون وأمثالهم بكلام يحسنونه ويزخرفونه ويصورون به باطلاً أو اعتراضًا فاسدًا إلا جئناك بالكلام الحق الذي يدفع باطلهم ويدحض شبهتهم وينقض اعتراضهم ويكون أحسن بيانًا وأكمل تفصيلا) (٥).

---

(١) سورة النور من الآية (٤٥).
(٢) سورة عبس الآيات (١٧ – ٢٠).
(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني، صـ ٤٤ بتصرف يسير.
(٤) سورة الفرقان من الآية (٣٣).
(٥) تفسير ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)) للإمام عبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩هـ): ٤٢١/١ بتصرف، حققه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (١). يرى في هذه الآية نصًا صريحًا في أن الجهاد في الدعوة إلى الله تعالى وإحقاق الحق من الدين وإبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين وإنكار الجاحدين هو بالقرآن العظيم، فيه بيان العقائد وأدلتها ورد الشبه عنها (٢).

ويؤكد الإسلام على إزالة الموانع التي تعطل العقل وتعوقه عن أداء وظيفته، وعلى رأسها موانع العرف والعادة، وموانع الاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية، وموانع الخوف من أصحاب السلطة الدنيوية.

فلا يقبل الإسلام من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣).

ولا يقبل الإسلام من المسلم أن يلغي عقله متوهما أن يسخره بالمسلم أن في غير ما يرضي الحق والدين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ *وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٤)(٥).

ولا يقبل الإسلام من المسلم أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا

---

(١) سورة الفرقان من الآية (٥٢).
(٢) تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس: ٤٢٩/١ بتصرف.
(٣) سورة لقمان من الآية (٢١).
(٤) سورة البقرة الآيات (١٦٥ – ١٦٧).
(٥) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، صـ ١٥٧ بتصرف.

الرَّسُولاَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (١).

ويدعو القرآن الكريم في النظر والاستدلال والحكم والاعتقاد إلى الاستناد إلى اليقين وإلى الحقائق المدروسة التي يطمئن إليها العقل، وينحى باللائمة على أولئك الذين يتعلقون بالأوهام والظنون فإنها لا تغني من الحق شيئا ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (٢).

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى حتى إنه ليكرر هذه الدعوة بشكل يلفت النظر ويثير الاهتمام، ويشير القرآن إلى العقل ومعانيه المختلفة ومشتقاته ومرادفاته في نحو ثلاثمائة وخمسين آية مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريب أو بعيد من:

"التفكير" و"القلب" و"الفؤاد" و"اللب" و"النظر" و"العلم" و"التذكر" و"الرشد" و"الحكمة" و"الرأي" و"الفقه" إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها وظلالها مما يعتبر إيحاءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للإنسان (٣).

ومن ذلك يتضح أن الإسلام قد كرم العقل الإنساني، وأطلق حريته في الإبداع وتصور ما يتفق مع متطلبات الحياة في كل عصر ومكان واستطاع فقهاء الإسلام بناء على هذه القاعدة أن يستخلصوا من كتاب الله وسنة رسوله معايير عامة يهتدى بها في تفصيل جميع تعاليم الإسلام الكلية من خلقية واقتصادية وحكومية، واستطاعوا أن يضعوا الأسس الصالحة للمجتمع الإسلامي، متفقين فيما رأوه مع العقل والمنطق، مستنيرين بما أمر الله به، وبما ثبت باليقين عن

---

(١) سورة الاحزاب من الآية (٦٦ – ٦٨).

(٢) سورة النجم من الآية (٢٨).

(٣) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: ٢٦٠/٥، الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت، (بترقيم الشاملة آليا).

الرسول والصحابة من بعده، واتخذوا من القياس والاستحسان ما أعطى آراءهم المرونة والقدرة على مواجهة كل جديد في أحداث الحياة غير المحدودة وتطوراتها غير المتناهية، ولم يعد للمسلم في مجال العبادات غير الامتثال والتنفيذ وأما في المجالات الأخرى، فإجماع الأمة على شيء منها لا يخالف نصا من نصوص الشريعة يعد حكما صالحا قابلا للنفاذ والامتثال له(١).

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ (٢)، ﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٣)، ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٤) .

بهذه الآيات وما جرى مجراها، تقررت فريضة التفكير في الإسلام، وتبين منها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر ويتدبر ويحسن الاذكار والرواية، وأنه هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال، وليس بالعقل الذي قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون، فإن الجنون يسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع وفي كل عرف وسنة، ولكن الجمود والعنت الضلال، غير مسقطة للتكليف في الإسلام وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه فإنها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير(٥).

ويندب الإسلام من يدين به، إلى مرتبة في التفكير أعلى من هذه المرتبة التي تدفع عنه الملامة أو تمنع عنه المؤاخذة فيستوجب له أن يبلغه بحكمته

---

(١) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها: د/ عبد الرشـــيد عبد العزيز ســـالم، صـــ ٢٤٠، الناشر: وكالة المطبوعات، ط: الثالثة ١٤٠٢هـــ ١٩٨٢م.

(٢) سورة الروم من الآية (٨).

(٣) سورة الأنعام من الآية (٦٥).

(٤) سورة الأعراف من الآية (١٨٥).

(٥) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢٦٨/٥، (بترقيم الشاملة آليا) بتصرف.

ورشده، ويبدو فضل الحكمة والرشد على مجرد التعقل والفهم من آيات متعددة في الكتاب الكريم يدل عليها أن الأنبياء يطلبون الرشد ويبتغون علماً به من عباد الله الصالحين. كما جاء في قصة موسى والخضر – عليهما السلام –[١].

هذه بعض مظاهر التأمل التي دعا القرآنُ العقلَ إليها، وهو حين يدعوه إلى ذلك لا يريد منه أن يقف عند حدود التأمل والنظر، فليس ذلك بمراد لذاته؛ وإنما ليعبر منه إلى ثمرته وفائدته؛ فيقوِّم به عقيدته، ويرسي أركانها، ويثبت قواعدها ثباتًا لا تزعزعه هبات رياح الشهوات؛ وحينئذ يكون الفلاح، وحينئذ يكون الإيمان الحق؛ ذلكم هو المراد وهو الهدف؛ لكنه ليس هو نهاية المطاف.

لقد عرض الله قضية الإيمان على العقل، وأخذ بيده إلى الكون، وخاطبه بالبرهان. ولكن المؤمنين غافلون عن حقيقة إيمانهم، فأصبحوا لا يستخدمون عقولهم في معرفة العقيدة حتى يعرفوها معرفة جيدة.

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٥/ ٢٦٨، (بترقيم الشاملة آليا) بتصرف.

ثانيا: أثر القرآن في تنمية القوى العقلية:

نزل القرآن بين العرب وباللغة العربية، وكان العرب عند نزول القرآن مختلفين في عقائدهم ومعتقداتهم اختلافا كبيرا، منهم المشركون عبدة الأصنام، ومنهم من كان يعتنق النصرانية أو اليهودية، ومنهم الأحناف الذين ترجع عقيدتهم إلى ملة سيدنا إبراهيم – عليه السلام –، ومن هؤلاء وأولئك من كان يتطلع إلى دين جديد ونبي جديد، ولكن لا يدرون من أي قبيلة سيكون ذلك النبي وبأي دين سيأتي. غير أن رأيا عاما كان منتشرا بينهم وهو قرب مقدم النبي الذي تحدثت عنه الكتب السماوية وملأ خبره أرجاء الجزيرة العربية(١).

وقد حدثنا القرآن عن هذه الأنماط المختلفة من العرب وذوي العقائد المتباينة وخاطبهم جميعا ومنهم من كان ينكر الخالق ويقول: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (٢) .

ومنهم من كان يعترف بوجود الخالق ولكنه ينكر البعث ويقول: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ (٣). وكان معتنقو الأديان الكتابية على خلاف فيما بينهم ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ (٤).

وعلى الرغم من وجود هذه المعتقدات والآراء، إلا أن التاريخ لم يثبت أن هذه المعتقدات والآراء كانت تقوم على منهج عقلي أو فلسفي واضح ولم يتح للعرب أن يبلوروا هذه المعتقدات في فلسفة فكرية ذات قواعد ومنهج محددين، بل كانت قاعدتهم الفكرية هي قولهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢/ ٤٩١، (بترقيم الشاملة آليا) بتصرف.
(٢) سورة الجاثية الآية (٢٤).
(٣) سورة ق الآية (٣).
(٤) سورة البقرة من الآية (١١٣).

مُهْتَدُونَ ﴾ (١).

وهذه القاعدة من شأنها أن تحجر على الفكر والنظر والبحث والتأمل، وبالتالي توقف النمو العقلي عن الوصول إلى الحقائق المتصلة بالإنسان والكون والحياة ماديا وروحيا(٢).

ويمكن أن نقول: إن العالم الإنساني كان مغمورا بموجة طاغية من فساد الاعتقاد. بعضه يهيم في عماء الجهل والتقليد الأعمى، وعبادة الأهواء؛ لأن الوثنية التي كانت من مواريث الجهل والتبعية العمياء استحوذت على العقول والأفهام وبعضه يرسف في أغلال الحجر العقلي ومضلته، ويقي هذا الفساد مستحكما في هؤلاء وهؤلاء، حتى جاء الإسلام لإصلاح هذه الأوضاع الفاسدة، وتحرير الإنسان من هذه الأغلال الجاثمة على عقله وفكره. كانت مهمة القرآن هي العمل على إبطال القاعدة الخاطئة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ . وتحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره وتتهذب قواه.

فوجَّه القرآن الفكر إلى كل ما من شأنه أن يدعو إلى استعمال العقل والتدبر والتأمل حتى تزول تلك الحجب الكثيفة التي تحول بين العقل والرؤيا الصحيحة للأشياء، وليخلق أمة جديدة هي أمة القرآن العاقلة المفكرة الباحثة الدارسة التي تعلي من شأن العقل وتستخدمه في مختلف شؤونها، وتفتح أمامه آفاقا غير محدودة لاستكناه حقائق الوجود في هذا العالم الكبير.

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية على أصول ومبادئ عامة صلحت لأن تكون منهجا فكريا سليما حدد المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة، وبالتالي مكنت هذه المبادئ والتوجيهات المسلمين من الاستفادة من تلك الدرة

---

(١) سورة الزخرف من الآية (٢٢).

(٢) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢/٤٩٢، (بترقيم الشاملة آليا).

الإلهية التي منحها الله للإنسان وهي: (العقل) فنمته وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها [١] .

طالَب القرآن كل ذي عقل بالنظر في عوالم السماوات والأرض وما فيهما من الدلائل الواضحة كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّه ﴾ [٢]، ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ﴾ [٣].

ويستهدف العقل، ويوجه للتفكر، ويلفت الحواس، وتنبه الأشياء، بالتعقيب على بيان الآيات الكونية والتشريعية بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾[٦]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٧]، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٨]، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٩]، ويثير الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتبعون منه ما يدل على الحق ويرشد إلى طريق العلم والقوة[١٠].

ولم يكتف القرآن بهذا، بل ذم الغافلين، ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن الآيات الكونية التي يشاهدونها في كل لحظة وتطالعهم بدلائلها في كل آونة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

---

(١) انظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢/٤٩٣، (بترقيم الشاملة آليا).
(٢) سورة الأعراف من الآية (١٨٥).
(٣) سورة يونس من الآية (١٠١).
(٤) سورة الرعد من الآية (٤).
(٥) سورة الرعد من الآية (٣).
(٦) سورة طه من الآية (٥٤).
(٧) سورة يونس من الآية (٦٧).
(٨) سورة البقرة من الآية (٢٢١).
(٩) سورة الرعد من الآية (١٩).
(١٠)انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢/٤٩٤، (بترقيم الشاملة آليا).

يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١] وعاب القرآن على أسرى التقليد إعراضهم عن الحق وجمودهم على ما وجدوا عليه آباءهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾[٢] .

فالتقليد الأعمى من أشر ما تبتلى به الأفراد والجماعات لأنه يميت مواهب الفكر والنظر ويوجب ركودها وجمودها.

والقرآن الكريم فوق هذا وذاك قرر حق الإنسان في حرية الفكر واستقلال الإرادة، وحرية الفكر التي جعلها الإسلام رائد للتفكير ونبراسا للعقول والأفهام؛ هي الحرية التي تطلق العقول من أغلال الحجر العقلي والكبت الفكري، وتحررها من سيطرة التقليد والتبعية العمياء، وتجلي لها معالم الحقائق، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء وإصلاح[٣].

وزاد الإنسان ذلك بأن قرر تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته؛ لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمي البصائر، ويميت عناصر الحياة والحركة والقوة في الأمم، ويفسد على الناس مناهج حياتهم.

فذم الجهل والجاهلين في مواطن كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّة ﴾[٤]، ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٥] .

وعاب الذين يتبعون الظنون والأوهام كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[٦]

---

(١) سورة الحج الآية (٤٦).
(٢) سورة البقرة الآية (١٧٠).
(٣) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٤٩٥/٢، (بترقيم الشاملة آليا) بتصرف.
(٤) سورة آل عمران من الآية (١٥٤).
(٥) سورة المائدة الآية (٥٠).
(٦) سورة يونس الآية (٣٦).

وعظم شأن العلم وحثَّ على طلبه والسعي إليه كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾(١)، ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾(٢)، وقول الرسول – ﷺ –: " من سلك طرقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة "(٣)، " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة "(٤).

فالعقل بمبادئه يقود الإنسان إلى الله، وضرورة طاعته، والله بفضله وكونه الخير المطلق بمقتضى علمه وقدرته ولطفه يرسم للإنسان كل معالم حياته الفردية التشريعية، وكل الحلول الأنجح لمشكلاته ليسير هذا نحو الغاية.

وبتعبير آخر: العقل نبي الباطن الذي يرشده إلى خالق الكون، ونبيه هو عقل الخارج الإنساني الذي يبلغه الخطة الإلهية للحياة.

فأين التناقض؟ ولماذا نعتبر أسبقية العقل تعني أن العقل هو كل شيء في الحياة؟ وهل يمكن أن نعتبر السراج الكاشف عن المنظار كاشفًا عن كل العوالم التي يكشف عنها المنظار، فلا حاجة إذن للمنظار، ونكتفي نحن بالسراج؟ وبهذا ينهار الأساس الذي ينص على دلالة أسبقية العقل على الوحي والنبوة على استقلالية الإنسان في كل حياته.

إن الأوامر الإلهية قد تكون أوامر إرشادية لحكم العقل الذي قد يغفل عنه الإنسان نتيجة طغيان النوازع الحسية عليه، ولكنها لا تعني التكرر والمرجعية العقلية، بل تعني الانسجام بين الدين والفطرة الإنسانية، وتبيين مكنونات هذه الفطرة التي قد يعمى عنها الإنسان(٥).

---

(١) سورة العنكبوت من الآية (٤٩).

(٢) سورة طه من الآية (١١٤).

(٣) سنن الترمذى: ٢٨/٥، ح (٢٦٤٦) .

(٤) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينـــي (ت ٢٧٣هـــ): ١٥١/١، ح (٢٢٤)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.

(٥) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي: ٩٨٨/١١، (بترقيم الشاملة آليا).

المبحث الثاني

تشريعات الاسلام لحفظ العقل الإنساني

لقد شرع الاسلام عدة تشريعات وذلك من أجل المحافظة على العقل وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة العقل في الإسلام حيث اعتبر حفظه من الضروريات والمقاصد العامة الأساسية في دين الله تعالى، فمن المعلوم أن الضروريات الخمس الكبرى في الإسلام هي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهي بمثابة المقاصد العليا لهذا الدين الحنيف، والكليات العظمى التي لا بد من المحافظة عليها لاستمرار الحياة.

ويظهر اهتمام الإسلام بحفظ العقل من خلال أمور من أهمها ما يلي:

أولا: تشريعات تحفظ العقل من التعطيل والجمود والانحراف:

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني، وتكريمه، والاعتزاز به والاعتماد عليه في فهم النصوص، كالعقيدة الإسلامية حين نستقرئ آيات القرآن الكريم نجد أن الإشارة إلى العقل قد تكررت في صيغ مختلفة تسعاً وأربعين مرة ورد فيها الاستفهام التقريعي التوبيخي بصيغة " أفلا تعقلون " ؟ خمس عشرة مرة، ورد فيها الاستفهام بقوله جل وعلا: " أفلا تعقلون " ؟ يوبخ أولئك المخاطبين، لأن الله منحهم قولا تدرك، ومع ذلك أبوا إلا أن يطمسوها طمساً تعطل به ولا تستعمل فيما أعدَّها الله تعالى له، فبدلوا هذه النعمة الجليلة التي أنعم الله بها عليهم كفراً، فلم ينتفعوا بها شيئا، وسوف يدركون هذه الحقيقة في الدار الآخرة فيقولون وهم يتلظون بالنار، كما أشار إليهم الله تعالى في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1] فهؤلاء أعطاهم الله أسماعاً، وأعطاهم عقولاً، ولكنهم لم يستعملوا أسماعهم ولا عقولهم في إدراك

(١) سورة الملك الآية (١٠).

الحق الذي أنزله الله تعالى، فكانوا بمثابة الذين انعدمت أسماعهم وعقولهم ولم تغن عنهم شيئا [١].

ولذلك لما تجاهل العصرانيون قيمة العقل في الإسلام وقعوا في مزالق خطيرة .

وهي في الحقيقة تشريعات تحفظ العقل من حيث وجوده، وذلك من خلال ذم تعطيل العقل وعدم إعماله فيما خلق له، والحض على النظر والتدبر في ملكوت الله وخلقه البديع، واستخراج ما في الكون من كنوز ومنافع لا يمكن استخراجها إلا من خلال إعمال العقل وعدم إهماله، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [٣] ... وغيرها من الآيات كثير.

وفي السنة عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء " [٤] .

السقاء يكون للبن والماء والوكاء هو الخيط الذي يشد به الكيس، وفي هذا دليل على إعمال العقل في فهم الدليل النقلي الوارد في سنة النبي - ﷺ -.

وصح عنه - ﷺ - أنه أمر عند إيكاء الإناء بذكر اسم الله فإن ذكر اسم الله عند تخمير الإناء يطرد عنه الشيطان وإكاؤه نه الهوام[٥] .

---

(١) أصول الدعوة وطرقها، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، صـ ١٣٢ بتصرف، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(٢) سورة الغاشية الآيات (١٧ - ٢٠).

(٣) سورة الأعراف من الآية (١٨٥).

(٤) رواه مسلم .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: ١٣٥/٣ طبعة ٢٠٠٨م .

والواضح للناظر كذلك مشروعية العقل في فهم الدليل واستنباط الأحكام بالرأي .

كما حث القرآن الكريم على تحرير العقل من مفسدة التقليد الأعمى لما كان عليه الآباء والأجداد من عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، وقد ذم الله تعالى تقليد المشركين والكفار لآبائهم وأجدادهم، والركون إلى ما كانوا عليه من انحراف في العقيدة، وعدم إعمال عقولهم في الاستدلال على فساد ما كان عليه آباؤهم ... قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١).

وإذا كان الإسلام قد حفظ العقل من خلال تحريره من مفاسد التقليد الأعمى، فإنه كذلك قد حفظه من خطر الانحراف والخروج عن نطاق ما خلق له، وذلك بوضع المنهج الصحيح للعقل للعمل والتفكير، ورفع العوائق والموانع التي تعطله عن وظيفته الصحيحة من أمامه، كاتباع الظن والأوهام والخرافة، والتحذير من اتباع الهوى عند إعمال العقل، ومن هنا ذكر العز بن عبد السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)، قال: هم من خلصت عقولهم من شوائب الهوى(٣).

ومن يدقق في الفرق بين إعمال العقل في الإسلام وإعماله في المفهوم الغربي، يجد أن الهوى والغرور هما سمة إعمال العقل العلماني الغربي، بينما يجد الموضوعية والتوازن سمة إعمال العقل في الشريعة الإسلامية، حيث لم يقحم الإسلام العقل فيما لا شأن له به أو علاقة – كالغيبيات وما شابه ذلك – كما لم يقدسه أو يغتر به كما فعل ويفعل الغرب حتى يومنا هذا، رغم أن العلم الحديث

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٦٩).

(٣) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن عبد السلام، صـ ٣٨٠ بتصرف يسير، ط: دار الكتب العلمية.

يثبت يوما بعد يوم محدودية العقل التي أكدها الإســـلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام[١].

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى، حتى أنه ليكرر هذه الدعوة بشكل يلفت النظر ويثير الاهتمام.

ويشير القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة، مستخدما لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريب أو بعيد، من التفكر والقلب والفؤاد واللب والنظر والعلم والتذكر والرشد والحكمة والفقه والرأي، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها وظلالها، مما يعتبر إيحاءات قوية بدور العقل الإنساني وأهميته في الحياة. وهذه الألفاظ في مجموعها تكوّن دائرة واحدة يتصل معناها جميعا بالعقل ووظائفه في أوسع معانيه.

هذا وكلمة العلم التي وردت في القرآن في خمسمائة وأربعين آية ليس المقصود بها في القرآن علم الدين وحسب، وإنما يقصد بها كل علم نافع يرفع من قدر الإنسان وينمي مواهبه العقلية، ويجعله أكثر خبرة ومعرفة بأمور الدنيا واستفادة منها وإفادة بها. وقد يدفع هذا القول بعض الناس ليظن أن هذه العناية بالعقل والإعلاء لمكانته تبيح لنا أن نجعل منه مصدرا نستقي منه العقيدة، أو نجعله حاكما عليها، يقبل منها ما يدركه، ويرفض ما لا يدركه أو ما لا يحيط به علما.

وهذه قضية منهجية جد خطيرة، تحتاج إلى فضل بيان، توضع فيه الأمور في نصابها الصحيح دون إفراط ولا تفريط: (لو كان الله سبحانه، وهو أعلم بالإنسان وطاقاته كلها، يعلم أن العقل البشري، الذي وهبه الله تعالى للإنسان، هو حسب هذا الإنسان في بلوغ الهدى لنفسه والمصلحة لحياته، في دنياه وآخرته،

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ٤٦/٢٩١ .

لوكله إلى هذا العقل وحده، يبحث عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق ، ويرسم لنفسه كذلك المنهج الذي تقوم عليه حياته ، فتستقيم على الحق والصواب ، ولما أرسل إليه الرسل على مدى التاريخ ، ولما جعل حجته على عباده هي رسالة الرسل إليهم، وتبليغهم عن ربهم .... ولكن لما علم الله – سبحانه – أن العقل الذي آتاه للإنسان أداة قاصرة بذاتها عن الوصول إلى الهدى – بغير توجيه من الرسالة وعون وضبط – وقاصرة عن رسم منهج للحياة الإنسانية، يحقق المصلحة الصحيحة لهذه الحياة، وينجي صاحبه من سوء المآل في الدنيا والآخرة . لما علم الله – سبحانه – هذا : قضت حكمته ورحمته أن يبعث الرسل وألا يؤاخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١) (٢).

فاقتضت حكمة الصانع الحكيم الذي خلق الإنسان وعلمه البيان أن يصطفي من عباده من يشاء، وأن يخصهم بصفات تميزهم، وإن يوحي إليهم من أمره تعالى ما يشاء أن يعتقده العباد، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه، بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن متناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع تحدد لهم ما فيه تقويم نفوسهم، وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، وإن علموه من داخل نفوسهم في إجماله، ثم يؤيد الله هؤلاء الذين يصطفيهم

---

(١) سورة الإسراء من الآية (١٥).

(٢) انظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي لمحمد إبراهيم الفيومي (ت ١٤٢٧هـ)صـ ٢٥، الناشر: دار الفكر العربي، ط: الرابعة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د/ يوسف حامد العالم، صـ ٣٤٤ وما بعدها، ط: ١٤٠١هـ ١٩٨٢م، مذاهب فكرية معاصرة لمحمد بن قطب بن إبراهيم، صـ ٥٣ وما بعدها، الناشر: دار الشروق، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، منهج المدرسة العقلية في التفسير: ٢٩/١ – ٣٩، مجلة البحوث الإسلامية: ١٩٣/٧.

لإبلاغ تلك الأمانة بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات، حتى تقوم بهم الحجة، ويتم الإقناع بصدق الرسالة، فيكونون بذلك رسلا من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين، يبشرون من آمن بهم واتبع هديهم بما وعد الله به المؤمنين من خير ومثوبة، وينذرون من كفر بهم وتنكب طريقهم بما توعدهم الله به من شر وعقوبة. لا ريب أن الذي أحسن كل شيء خلقه، وأبدع في كل كائن صنعه، ووسعت رحمته كل شيء يكون من رحمته بمن خلقه في أحسن تقويم، وهيأ له وسائل الإدراك والمعرفة، أن ينقذه من حيرته، ويخلصه من التخبط والضلال [١].

ليست الحياة الإنسانية كحياة النحل والنمل يكفي فيها الإلهام الغريزي لانتظامها، وتحقيق تعاون أفرادها، والقيام بوظائفها، فإن الحياة الإنسانية تتميز بالعقل والتفكير والتدبير والاختيار، فلا يجدي فيها هذا الإلهام، ولا يستقيم أمرها إلا بانتظامها في سلك واحد، عن فكر ونظر[٢].

ثانيا: تحريم ما يفسد العقل حسياً ومعنوياً:

١- أما تحريم ما يفسد العقل حسيا:

فقد حرم الإســـلام كل ما يؤدي إلى الإخلال بالعقـــل وزواله كلـــيا أو جزئيا، وذلك من خلال تحريم المسكرات والمخدرات التي تغيب العقل وتعطله، وربما تؤدي إلى زواله بشـــكل نهائي بموت صاحبه أو جـــنونه في بعض الحالات، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [٣].

---

(١) انظر: رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، صـــ ٩٦، دار المعارف بمصر.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية: ١٩٤/٧.

(٣) سورة المائدة الآيتان (٩٠، ٩١).

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: { فَاجْتَنِبُوهُ }: يُرِيدُ أَبْعِدُوهُ وَاجْعَلُوهُ نَاحِيَةً، وقال السعدي – / –: " يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. { فَاجْتَنِبُوهُ } أي: اتركوه { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله " (١).

والحقيقة أن حفظ الإسلام للعقل هو جزء من حفظه للنفس، فالعقل هو جزء من النفس الإنسانية، بل هو في الحقيقة الجزء الأهم من كيان الإنسان، يقول العز بن عبد السلام: " ونحفظ العقل لفوائده ... ولا يجوز تخبيله بشيء من المسكرات إلا بإكراه أو ضرورة، ولا يجوز ستره بالمغفلات المحرمات، ويُستحب صونه عن الغفلة، وذلك بنفي أسباب الغفلات من الشواغل الملهيات " (٢).

وفي تحريم الله تعالى الخمر وكل ما يذهب العقل ويغيبه تأكيد على اهتمامه بهذه النعمة العظيمة التي وهبها الله تعالى للإنسان، ورد واضح على كل من يشكك في منزلة العقل في دين الله، فمن المعلوم أن برهان الاهتمام بالشيء تشريع السبل والوسائل لحفظه وعدم التفريط به، وهو ما فعله الإسلام كدليل على منزلة العقل فيه.

فحرم – ﷺ – المسكرات والمخدرات لما لها من أثر سيئ على عمل الإنسان؛ فالخمر سميت خمرا بسبب تخمرها العقل؛ أي ستره وتغطيته. يقال: خمر إناءك، إذا طلب منك أن تغطيه. فالخمر في حال سترها للعقل تجعل متعاطيها أشبه بالسفيه الذي لا يحسن التصرف، أو المجنون الذي لا يشعر بما يرتكب من جرائم تخل بالدين والشرف.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ هـ): ٢٨٨/٦، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م، وتفسير السعدي: ٢٤٣/١.

(٢) شجرة المعارف، صـ ٣٨٠.

وأشد من الخمر في الفتك بالعقل: المخدرات، التي تزيل العقل، وتفسد القلب، وتجعل متعاطيها يعيش في غيبوبة دائمة، هاربا من واقعه.

من أجل ذا حرمها الإسلام – كما حرم الخمر – لجامع السكر في الاثنين؛ فرسولنا – ﷺ – « نهى عن كل مسكر ومفتر » (١).

وأخبر أن « ما أسكر كثيره، فقليله حرام » (٢)، وأن « كل مسكر خمر، وكل خمر حرام » (٣). وقد قاس ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) حكم قليل " الحشيش " على قليل" المسكر "، بجامع مخامرة كل منهما للعقل، فقال: (وأما قليل الحشيشة المسكرة، فحرام عند جماهير العلماء، كسائر القليل من المسكرات)(٤)، والمخدرات كلها مسكرة، والوعيد المترتب على تعاطي الخمر، هو الوعيد المترتب على تعاطي أنواع المخدرات المختلفة، بجامع اشتراك الكل في إزالة العقل، ولعموم نهيه – ﷺ – عن كل مسكر ومفتر.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الأشربة، باب: في النهي عن المسكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر، وأحمد في المسند: ٤/ ٢٧٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: الأشربة، باب: في النهي عن المسكر. وسنن ابن ماجه، كتاب: الأشربة، باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق: ٧٠٢/٢، ح ٣١٢٨، وصحيح سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ): ٢٤٥/٢، ح ٣٣٩٣، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية ١٤٠٨هـ.

(٣) صحيح البخاري ((الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه))، كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن. وكتاب: الأدب، باب: ما لا يستحيا من الحق، وكتاب: الأحكام، باب: أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، وصحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مصدر سابق: ٢٥٤/٣٤.

فكل ما جاء في وعيد شارب الخمر، يأتي في مستعمل شيء من هذه المذكورات؛ (لاشتراكهما في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه؛ لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى، وعن رسوله – ﷺ – والمتميز به الإنسان عن الحيوان، والوسيلة إلى إيثار الكمالات عن النقائص، فكان في تعاطي ما يزيله وعيد الخمر) (١).

ولا ريب أن النهي عن هذه الأشياء المضرة بالعقل، من أقوى الأدلة على عناية الإسلام به، ومحافظته عليه.

أما العلمانية الغربية التي تتشدق بالعقلانية وتزعم أنها تقدس العقل وترفعه فوق كل اعتبار ديني أو دنيوي، فإن الواقع والحقيقة يكذبان ما ترفعه من شعارات، حيث لم تستطع حفظ عقول أبنائها من تغول الخمر والمخدرات عليها، رغم علمها الأكيد بأضرار الخمر ونتائجه الكارثية على هذه المنحة الإلهية العظيمة "العقل".

وفي الوقت الذي حفظ الإسلام العقل من كل ما يمكن أن يؤذيه أو يضره بآية واحدة تحرمه ويلتزم بها المسلمون في كل أنحاء العالم، فشلت العلمانية الغربية في ذلك، رغم الجهود والأموال الطائلة التي تبذل في سبيل الحد من انتشار الخمر والمخدرات في مجتمعاتها، بل رغم التحذيرات التي تطلقها مؤسساتها الصحية بخطر تعاطي الخمر أو الإدمان عليه، والتأكيد بأن كأسا واحدة من الخمر يوميا تزيد فرص احتمال الإصابة بالسرطان بنسبة ١٦٨%.

ولم يكتف الإسلام بتحريم ما يفسد العقل حسيا، بل شرع عقوبة لكل من يتجاوز هذا التحريم، فيتناول ما يفسد العقل ويغيبه، فقد ورد في صحيح البخاري: " أن النبي – ﷺ – ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين "(٢).

وعن السائب بن يزيد – ﷺ – قال: "كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله – ﷺ – وإمرة أبي بكر فصدراً من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا

(١) الهيتمي: ١/ ٢١٢، (د. ت)، وراجع: مجلة البحوث الإسلامية: ٣٦٤/٧٩.
(٢) صحيح البخاري برقم (٦٧٧٣).

وأرديتنا، حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين، حتى إذا عتوا أو فسقوا جلد ثمانين"(١).

فكل مسكر خمر مهما تعددت أشكاله وألوانه، ومهما وضع له الناس من مسميات وألقاب، فيدخل في ذلك كل ما ثبت إسكاره من أي مادة حتى ولو كانت خبزا وماء، كما روى عن عائشة – ل – أنها قالت: " لا أحل مسكرا وإن كان خبزا وماء ". وسواء كان نيئاً أو مطبوخاً، مأكولاً أو مشروباً، جامداً أو مائعاً، موجوداً في زمن النبي – ﷺ – أو لا، ويدخل في ذلك – بطبيعة الحال – الحشيش، والأفيون، والبيرة، والبوظة، والمواد المنومة (barbiturates) والمواد المنشطة (amphitamines) وكل ما يتعاطى لأغراض الكيف وتحقيق الشعور بالنشوة والراحة الموهوبة لأنها تضر الفرد والمجتمع على السواء، وذلك لأن تعاطيه يؤدي إلى أضرار مختلفة تتعلق بصحة الفرد البدنية والنفسية وقدراته وإمكاناته الإنتاجية، مما يؤثر على التنمية والرقي، ويعطل قوى الإعمار والإنشاء والبناء، ويتناقض مع كرامة الإنسان ومكانته السامية(٢).

ومن ذلك يتضح أن الإسلام اتخذ لصحة العقل وسعادته طريقين: طريق الوقاية وطريق التنمية، ففي الطريق الأول حرم على الإنسان تناول كل ما يخدر العقل ويضره، وفي الطريق الثاني دعا إلى تحقيق مطالبه من النظر والمعرفة والحكمة، ولم يكتفِ بمجرد الدعوى إلى ذلك فحسب، بل زوده بمعرفة كثيرة من أسرار الكون والحياة، علم ما وراء هذا الكون، وهم العلم الذي ما كان يستطيع العقل الإنساني أن يصل إليه وحده، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٧٩).

(٢) نظرة الشريعة الإسلامية إلى المخدرات – رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية، بتصرف بسير.

رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

٢- وأما حفظ العقل معنويا:

فمن خلال النهي عن تورط العقل بالولوج في متابهات المذاهب الضالة والعقائد الفاسدة والتيارات الفكرية المنحرفة، وما ذاك إلا لأن النظر في كتب أهل البدع والضلال يؤثر على العقل فتلتبس عليه بعض الشبه – وهذا طبعا بحق غير العلماء الذين يحسنون الرد على ما فيها من الباطل –.

ومن هنا جاء نهي النبي – ﷺ – عن النظر في التوراة وغيرها من الكتب المحرفة التي قد تفسد العقل وتشوش على المسلم، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله – ب –: " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب أَتَى النَّبِيَّ – ﷺ – بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ على النَّبِيِّ – ﷺ – فَغَضِبَ وَقَالَ: (أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّاب، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي) (٢).

وأما ورود "العقل" في القرآن فأكثره قد جاء في الكلام على آيات الله، وكون المخاطبين بها والذين يفهمونها ويهتدون بها هم العقلاء، ويراد بهذه الآيات في الغالب آيات الكون الدالة على علم الله ومشيئته وحكمته ورحمته.. ويلي ذلك في الكثرة آيات كتابه التشريعية ووصاياه، كقوله تعالى في تفصيل الوصايا الجامعة من آخر سورة الأنعام: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥١).

(٢) رواه أحمد (١٤٧٣٦)، وحسنه الألباني في: إرواء الغليل: ٦/ ٣٣٢ .

(٣) سورة الأنعام من الآية (١٥١).

وكذلك آيات النظر العقلي والتفكر كثيرة في الكتاب العزيز فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر ... " [١].

وبهذا تتجلى حماية الإسلام للعقل في:

١. تربيته على حسن المعرفة، والمنطق العلمي، والفكر الاستدلالي، والمنهج التجريبي.

٢. النهي عن كل ما يضر به، أو يعطل وظيفته؛ كالنهي عن المنكرات والمفترات، كما مر.

٣. الأمر بتغذيته بالعلوم النافعة، واستعماله في الخير.

٤. النهي عن الاعتداء عليه بأي نوع من أنوع الاعتداء؛، كالضرب ونحوه.

ولقد جعل الإسلام الدية كاملة في حق من ضرب آخر، فأذهب عقله.

يقول عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل – رحمهما الله –: (سمعت أبي يقول: في العقل دية؛ يعني إذا ضرب، فذهب عقله) [٢] .

وهذا لا خلاف فيه بين علماء المسلمين [٣]؛ "لأن العقل (أكبر المعاني وأعظم الحواس نفعا؛ فإن به يتميز من البهيمة، ويعرف به حقائق المعلومات، ويهتدي إلى مصالحه، ويتقي ما يضره، ويدخل به في التكليف. وهو شرط في ثبوت الولايات، وصحة التصرفات، وأداء العبادات، فكان بإيجاب الدية أحق من بقية الحواس " [٤].

فأي تكريم أعظم من هذا التكريم !!

---

(١) الوحي المحمدي، المؤلف محمد رشيد رضا، صـــ ٢٤٤.

(٢) الإمام أحمد، المسائل برواية عبد الله، صـــ ٤١٧، ط: ١٤٠٨هـــ.

(٣) نص على ذلك الإمام ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني: ١٢/ ١٥١، ط: ١٤١٠ هـــ.

(٤) المغني، ابن قدامة، مصدر سابق: ١٥٢/١٢، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنـــورة: ٤٩٠/٢، (بترقيم الشاملة آليا).

مما سبق يتضح حرص الإسلام على العناية بالعقل والمحافظة عليه، وذلك بما يلي:

أولاً: حرَّم الإسلام تحريماً قاطعاً كلّ ما يُذْهِب العقل ويُغيِّب الفكر، وجعَل المحافظة على سلامة العقول إحدى ضروريات الإنسان الخمْس، وهي: النفْس، والدِّين، والعقل، والعِرض، والمال.

ولذلك حرّم الله الخمر والمُسكرات والمُفتِّرات بكافة أنواعها، السائلة منها والجامدة، ما يُشرب منها وما يُحقن أو يُشمّ، وكلّ ما يُخامر العقل ويَستره ويُغطّيه

ثانياً: أطلق الإسلام للعقل عنان الفكر بما لا يتصادم مع عقائد الدِّين وثوابت الشّرع، ومنَحه حرية التعبير عما يجيش بعقله؛ فلا يصادر الإسلام رأياً، ولا يكبت فكراً، إلاّ إذا كان فكراً يُنكر ما هو معلوم من الدِّين بالضرورة، أو يعارض قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية، أو يخالف فطرة الله التي فطر الناس عليها، كأن يُزيّن لفاحشة، أو يدعو إلى مُنكَر من خلال الفنّ الساقط والأدب الرخيص.

وبذلك أعطى الإسلام الحرية للعقل في مجالات كثيرة، ووضع له الضوابط التي تحول بينه وبين الانحراف في الفكر، والضلال في الرأي.

المبحث الثالث

مجالات العقل في العقيدة الاسلامية

أولا: دور ووظيفة العقل في العقيدة:

دعا الإسلام العقل إلى أداء وظيفته، ووظيفة العقل في نظر الإسلام: أن يقوم بعبء وظيفته الشرعية، وهي الفهم، والتدبر، والتفكر، وألا يدع وظيفته هذه لأي مضلل ينهاه عنها.

قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

بذلك أرشد العقل إلى أخص وظائفه: وهو الفكر، حتى ولو كان في القرآن أو في مصدره. وكان هذا الوضع طبيعيا من دين ألغى طريقا طويلا ازدحم فيه متنبئون كاذبون، وإنها لدعوة استجاب لها التاريخ نفسه على مستواه العالمي(٢).

يقول الأستاذ سيد قطب، رحمه الله:

"إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة "الوحي"، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول. ومهمة الرسول أن يبلغ ويبين، ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام، وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق، وأن يرسم له منهج التلقي الصحيح ومنهج النظر الصحيح، وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العملية، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة. وليس دور العقل أن يكون حاكما على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول أو الرفض، بعد أن يتأكد من صحة صدورها

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢).

(٢) في ظلال القرآن: ٨٠٦/٢. وانظر: الله في العقيدة الإسلامية للبنـــا – / –، صـــ ٢٩ – ٣١، ط: دار العلوم للطباعة.

عن الله، وبعد أن يفهم المقصود بها، أي: المدلولات اللغوية والاصطلاحية للنص"[١] .

ويؤكد هذا المعنى ويزيده وضوحا، فيقول: إن العقل البشري ليس هو الذي يصنع مقومات التصور الإسلامي – كما هو الحال في الفلسفة – إنما هو الذي "يتلقاها" من مصدرها الرباني، و"يدركها" صحيحة، حين يتلقاها وهو متجرد من أية "مقررات" سابقة في هذا الباب – سواء من مقولاته الذاتية، أو من مقولات العقائد المحرفة، ولو كان لها أصل رباني – وعليه أن يتقيد فيما يتلقاه من ذلك المصدر الصحيح بالمدلول اللغوي أو الاصطلاحي للنص الذي وردت فيه هذه المقومات – بدون تأويل – ما دام النص محكما، وأن يصوغ من هذا المدلول مقرراته هو ومنهجه في النظر أيضـــا. فليس له أن يرفض هذا المدلول أو يؤوله – متى كان متعينا من النص – بحجة أنه غريب عليه أو صعب التصور عنده، أو أن منطقه لا يقره! فهو – العقل البشري – ليس حَكَما في صحة هذا المدلول أو عدم صحته – في عالم الحقيقة والواقع – وإنما هو حكم فقط في فهم دلالة النص على مدلوله – وفق المفهوم اللغوي أو الاصطلاحي للنص – .

وما دل عليه النص فهو صحيح، وهو الحقيقة، سواء كان من مألوفات هذا العقل ومسلماته أم لم يكن ... ويستوي في هذه القاعدة العقيدة والشريعة: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[٢]، وصدق الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – حيث قال: " لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه "[٣] .

---

(١) في ظلال القرآن:٢/٨٠٧، وراجـــع: مدخل لدراســـة العقيدة الإســـلامية: د/ عثمان جمعة ضميرية، تقديم: د/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، صـــ ١٩٠، الناشر: مكتبة الســـوادي للتوزيع، ط: الثانية ١٤١٧هـــ ١٩٩٦م.

(٢) سورة الحشر من الآية (٧).

(٣) أخرجه أبو داود.

من هذا يتضح أن العقل في الإسلام له دور فعال في الإيمان بالله – ﷻ –، وفي الحياة ونظامها، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها على إهماله

ولذلك حدد الإسلام دور العقل، وظيفته وهو أن يفهم الرسالة التي جاء بها سيدنا محمد – ﷺ – فيتلقى عنه دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق.

العقل ليس أصلا لثبوت الشرع، فإن الشرع منزل من عند الله ثابت بنفسه. سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا إلا أننا محتاجون إليه حتى نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع صار عالما، وإذا لم يعلمه كان جاهلا. والمنقول الصحيح من الآيات والأحاديث لا يعارضه العقل كمسائل التوحيد و (عقائد) صفات الإله، والنبوات والمعاد والرسل عليهم السلام. لا يخبرون بمخالفة العقل، وإنما يخبرون بما عجز عنه، وليس دور العقل أن يكون حاكما على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول والرفض بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله، إلا أنه ملتزم بأحكام الدين إذا بلغت إليه عن طريق صحيح . فكما ثبت من قبل .." أن الإسلام دين العقل بمعنى أنه يخاطبه بمقتضاه ومقرراته، ولا يقهره بخارقة مادية لا مجال فيها إلى الإذعان، ويخاطب العقل بمعنى أنه يصحح له مناهج النظر ويدعوه إلى تدبر دلائل الهدى وموجبات الإيمان والنظر في الأنفس والآفاق، ويخاطب العقل بمعنى أنه يكل إليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته، ولا يفرض عليه أن يؤمن بما لا يفهم مدلوله ولا يدركه، فإذا وصل العقل إلى مرحلة إدراك المدلولات وفهم المقررات، ولم يعد أمامه إلا التسليم بها فهو مؤمن، وعدم التسليم بها فهو كافر.

العقل ميزان صحيح غير أنك لا تستطيع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء الطبيعة " [١]...

ووظيفة العقل هي إدراك ما يقع له من مظاهر الوجود، وقد ينتج الإدراك معرفة، ولكن الإيمان أكبر من الإدراك، وأعلى من المعرفة.

وسئل الصديق الأكبر أبو بكر الصديق – ﷺ – بم عرفت ربك ؟ فقال: عرفت ربي، ولولا ربي ما عرفت ربي، فقيل له: وهل يتأتى لبشر أن يدركه ؟ فقال: العجز عن الإدراك إدراك "، ويعلق العز بن عبد السلام على هذا الخبر بقوله: " ومعنى هذه الإشارة الصديقية: إن الحواس الخمسة التي هي آلات الإدراك لسائر المحسوسات لا وصول لها لإدراكه فإذا علمت أن الحق سبحانه منزه عن إدراك الحواس لكن ذاته وصفاته لعجزها عن إدراكه، فقد عرفت الحق ... ربما يفهم من القول: بأن العجز عن الإدراك إدراك " .

أن الإيمان المستولد من العجز عن الإدراك إيمان باهت وأنه ليس بشيء والحق أن العجز عن الحقيقة الكبرى حقيقة الوجود العليا ليس هو العجز الذي يعقبه اليأس ويتبعه القنوط، وإنما هو إلهام روحي، ومن أجل هذا كان الإيمان بالله – ﷻ – لا يرتاد إلا النفوس التي حل بها الطهر وزكاها العلم، ولا يكون إلا في النفوس التي خلت من الشك والريب، وسلمت من الزيغ [٢] .

فالإسلام يطرح العقيدة على العقل على أســـاس النظر والفكر ليستقر الإيمان في نفس المخاطب، وجذور هذه العقيدة ضاربة في الكون والنفس والبشر ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[٣]. كما هي

---

(١) انظر: كتاب التوحيد المسمى بـــ « التخلي عن التقليد والتحلي بالأصـــل المفيـــد » لعمـــر العرباوي الحملاوي (ت ١٤٠٥هـــ)، صـــ ٤٢، الناشـــر: مطبعـــة الوراقـــة العصـــرية ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م.

(٢) انظر: كتاب التوحيد المسمى: التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، صـــ ٤١.

(٣) سورة فصلت من الآية (٥٣).

مودعة في الكتاب الكريم ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾[١] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٢].

إن دور العقل- في هذا الصدد- هو أن يفهم ما الذي يعنيه النص. وما مدلوله الذي يعطيه حسب معاني العبارة في اللغة والاصطلاح. وعند هذا الحد ينتهي دوره ... إن العقل ليس إلها، ليحاكم بمقرراته الخاصة مقررات الله .. إن له أن يعارض مفهوما عقليا بشريا للنص بمفهوم عقلي بشري آخر له .. هذا مجاله، ولا حرج عليه في هذا ولا حجر، ما دام هناك من الأصول الصحيحة مجال للتأويل والأفهام المتعددة[٣].

وحرية النظر - على أصـــوله الصحيحة وبالضوابط التي يقررها الدين نفسه - مكفولة للعقول البشرية في هذا المجال الواسع. وليس هنالك من هيئة، ولا سلطة، ولا شخص، يملك الحجر على العقول، في إدراك المقصود بالنص الصحيح، وأوجه تطبيقه - متى كان قابلا لأوجه الرأي المتعددة، ومتى كان النظر في حدود الضوابط الصحيحة والمنهج الصحيح، المأخوذ من مقررات الدين - وهذا كذلك معنى أن هذه الرسالة تخاطب العقل .. إن الإسلام دين العقل .. نعم .. بمعنى أنه يخاطب العقل بقضاياه ومقرراته. ويخاطب العقل بمعنى أنه يصحح له منهج النظر ويدعوه إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان والأنفس والآفاق، ليرفع عن الفطرة ركام الإلف والعادة والبلادة؛ وركام الشهوات المضلة للعقل والفطرة. ويخاطب العقل بمعنى أنه يكل إليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته، ... [٤] .

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٨٥).

(٢) سورة ق من الآية (٣٧).

(٣) انظر: الأساس في التفسير لسعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـــ): ١٢٤٢/٢، الناشر: دار السلام - القاهرة، ط: السادسة ١٤٢٤ هـــ.

(٤) انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، صـــ ١٩٢.

ومن ثم، فإن محاكمة التصور الإسلامي أو محاكمة مقوماته التي يقوم عليها – ومنها ما هو غيب، كالملائكة والجن والقدر، والقيامة، والجنة والنار – إلى العقل البشري ومقرراته الذاتية، منهج غير إسلامي.

وهذا لا يعني أن التصور الإسلامي مناقض أو مصادم للعقل البشري. فإن مقرراته كلها نوعان: نوع الإدراك البشري قادر على تصوره – عند تلقيه من المصدر الرباني – ونوع هو غير قادر

على إدراكه ولكن منطقة ذاته يسلم بأن طبيعته أكبر من حدود إدراكه، وأن "وجود" ما هو أكبر من حدود إدراكه داخل في قدرة الله تعالى، وأن إخبار الله عن وجوده هو بذاته برهان هذا الوجود، برهان صحة الإخبار.. ومن ثم لا يقع التناقض أو التصادم أبدا، متى استقام العقل البشري والتزم حدوده!

" وحيثما حاول العقل البشري أن يسلك طريقا غير هذا الطريق، طريق التلقي من المصدر الرباني بدون مقررات سابقة لها فيما يتلقى، والالتزام بمدلول النص متى كانت دلالته اللغوية أو الاصطلاحية محكمة..

نقول: حيثما حاول العقل البشري أن يسلك طريقا غير هذا الطريق، جاء بالخبط والتخليط الذي لم يستقم قط في تاريخ الفكر البشري.. يستوي في الخبط والتخليط تلك الجاهليات الوثنية التي انحرفت عما جاء به الرسل – صلوت الله وسلامه عليهم – والجاهليات اللاهوتية التي أدخلت على الأصل الرباني الإضافات والتأويلات التي اصطنعها العقل البشري – وفق مقولاته الذاتية – أو اقتبسها من الفلسفة، وهي من مقولات هذا العقل أصلا. والجاهليات الفلسفية التي استقل الفكر البشري بصنعها، أو أضاف إليها تأثرات من الديانات السماوية ! [١] .

وإذا تبين ذلك، فلعل الأسباب إذا تجاوزت في نطاق إدراكنا ووجودنا خرجت على أن تكون مدركة فيتيه العقل في بيداء الأوهام، وينقطع فإذا التوحيد

(١) انظر: كتاب التوحيد المسمى: التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، صـــ ٤١.

هو العجز عن إدراك الأسباب، وهذا معنى ما نقل عن أبي بكر الصديق – ﷺ –: " العجز عن الإدراك إدراك "، ويقول ابن خلدون: التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب.

وليس في شئ من هذا الذي نقرره انتقاص من قيمة العقـــل ودوره في الحياة البشرية .. فإن المدى أمامه واسع في تطبيق النصوص على الحالات المتجددة – بعد أن ينضبط هو بمنهج النظر وموازينه المستقاة من دين الله وتعليمه الصحيح – والمدى أمامه أوسع في المعرفة بطبيعة هذا الكون وطاقاته وقواه ومدخراته؛ وطبيعة الكائنات فيه والأحياء، والانتفاع بما سخر الله له من هذا الكون ومن هذه الكائنات فيه والأحياء، وتنمية الحياة وتطويرها وترقيتها – في حدود منهج الله – لا كما تبتغي الشهوات والأهواء التي تضل العقل وتغطي الفطرة بالركام(١).

ومن ثم كان الرسل – صلوات الله عليهم – يحسون بجسامة ما يكلفون. وكان الله – سبحانه – يبصرهم بحقيقة العبء الذي ينوطه بهم .. وهذا هو الذي يقول الله عنه لنبيه: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٢) .. وإنما يكون جهد العقل في تطبيق النص على الحالة الحادثة لا في قبوله أو رده(٣).

وليس في شيء من هذا انتقاص من قيمة العقل، ودوره في الحياة البشرية، بل هو كمال الأدب مع خالقه، وحسن استقبال أوامره. والمدى أمام العقل أوسع في التعرف على طبيعة هذا الكون وطاقاته .. وقواه ومدخراته .. وطبيعة الكائنات فيه والأحياء .. ومخلوقات الله في البر والبحر .. والسماء والأرض .. وتنمية الحياة .. والاستفادة من الكائنات في حدود منهج الله .. ومعرفة بارئه

---

(١) انظر: الأساس في التفسير (٢/ ١٢٤٤).

(٢) سورة المزمل الآية (٥).

(٣) القرآن ونقض مطاعن الرهبان: د/ صلاح عبد الفتاح الخالـــدي: ٦٤٢/١ بتصـــرف، دار القلم – دمشق، ط: الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

وفاطره وأسمائه وصفاته .. ومظاهر قوته ورحمته .. ومعرفة نعمه وآلائه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

وبناء على ذلك فكل بدعة في الدين مردودة لأمور:

أحدها: أن العقل الإنساني لا يستقل بمعرفة الحسن والقبح .. وما ينفع وما يضر .. ؛ لقصور فهمه من جهة .. وعدم قدرته من جهة .. ولما ينازعه من هوى وشهوات من جهة أخرى.

ومن هنا كان لا بدَّ من الوحي الإلهي، المنزه عن القصور والغفلة، والجهل والنسيان، فالعقل بمنزلة العين المبصرة، إن كان هناك ضوء أو نور أبصرت الأشياء بحسب قوتها أو ضعفها.

وكذلك العقل إن كان هناك وحي إلهي من كتاب أو سنة أدرك الأشياء على حقيقتها، وعرف مضارها ومنافعها(٢).

وبهذا تَخضع العقيدة تحت لواءِ العقل الإنساني، الذي إن ابتعد عن نور الوحي وآثار النبوة؛ وقف حائراً أمام الحقائق والأسرار والمعارف، وعاش فوضىً حياتية بعيدة كل البعد عن العبوديةِ الخالصةِ المتجرِّدة لله تعالى.

مما سبق يتضح ان وظائف العقل ومن خصائصه ملكة الإدراك التي يُناط بها الفهم والتصور وهي على كونها لازمة لإدراك الوازع الأخلاقي وإدراك أسبابه

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٤).

(٢) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢٦٢/٥، (بترقيم الشاملة آليا) وراجع: آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»، المؤلف: د/ ليلى عبد الرشيد عطار، صـ ٢٨٠، الناشر: منشورات أمانة للنشر، ميريلاند – الولايات المتحدة الأمريكية، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م..

وعواقبه تستقل أحياناً بإدراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهي أو بالحسنات والسيئات.

ومن خصائص العقل أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج منها بواطنه وأسراره. ويبني عليها نتائجه وأحكامه وهذه الخصائص في جملتها تجمعها ملكة " الحكم " وتتصل بها ملكة الحكمة، وتتصل كذلك بالعقل الوازع إذا انتهت حكمة الحكيم به إلى العلم بما يحسن وما يقبح وما ينبغي له أن يطلبه وما ينبغي له أن يأباه.

ومن أعلى خصائص العقل الإنساني "الرشد" وهو مقابل لتمام التكوين في العقل الرشيد، ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم؛ لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز بميزة الرشاد حيث لا نقص ولا اختلال. وقد يؤتى الحكيم من نقص في الإدراك، وقد يؤتى العقل الوازع من نقص في الحكمة، ولكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد من هذا وذاك [١].

(١) انظر: موسوعة فقه القلوب لمحمد بن إبراهيم التويجري: ٢٧٧٨/٣، الناشر: بيت الأفكار الدولية .

ثانيا: العقل مناط للتكليف:

يكفي العقل البشري شرفاً أن جعله الله تعالى مناط التكليف، ويسقط التكليف بغيابه أو ضعفه .

وهذه النعمة هي التي ترفع صاحبها إلى مستوى التكاليف الشرعية الإلهية، وتؤهله لإدراكها وفهمها؛ فالعقل مناط التكليف. فلا يتوجه الخطاب الشرعي إلا للعقلاء من البشر، بينما يسقط التكليف وترتفع المسؤولية عن فاقدي هذه النعمة الإلهية والجوهرة الثمينة، ففي الحديث عن عائشة أن رسول الله – ﷺ – قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق) (١).

معنى رفع القلم: أي: رفع قلم التكليف والمؤاخذة عن هؤلاء الثلاثة.

والنائم والصغير فيهما نوع جنون، إذ أن النائم ذاهب العقل مؤقتاً والصغير لا عقل له.

إذاً صار عندنا: مجنون لا يفيق، ونائم زائل العقل مؤقتاً حتى يستيقظ، والصغير الذي لا عقل له، فهؤلاء الثلاثة زال التكليف عنهم لزوال العقل إما كليةً وإما مؤقتاً.

يقول أبو الوفاء ابن عقيل (ت ٥١٣هـ) موضحا معنى التكليف: " هو المطالبة بالفعل أو الاجتناب له، وذلك لازم في الفرائض العامة؛ نحو التوحيد، والنبوة، والصلاة، وما جرى مجرى ذلك، لكل عاقل، بالغ ... " (٢)، فالتكليف للعاقل.

---

(١) أخرجه أبى داود في سننه: ٤٥٢/٦، حديث (٤٣٩٨).

(٢) ابن عقيل، مصدر سابق: ٦٨/١.

ويقول الآمدي (ت ٦٣١هـ): " اتفق العقلاء على أن شرط المكلف أن يكون عاقلا، فاهما للتكليف؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال؛ كالجماد، والبهيمة " (١).

ويقول الطوفي (ت ٧١٦ هـ): " من شروط المكلف: العقل، وفهم الخطاب؛ أي: يكون عاقلا، يفهم الخطاب، ولا بد منهما جميعا " (٢).

فالمكلف لا بد أن يكون عاقلا يفهم الخطاب. ومن هنا لم يكلف المجنون؛ لأن مقتضى التكليف: الطاعة والامتثال، ولا تمكن إلا بقصد الامتثال. وشرط القصد: العلم بالمقصود، والفهم للتكليف؛ إذ من لا يفهم، كيف يقال له: افهم، ومن لا يسمع، لا يقال له: تكلم. وإن سمع ولم يفهم كالبهيمة، فهو كمن لا يسمع ... " (٣).

فالعقل هو الذي يرفع الإنسان إلى مستوى التكاليف الإلهية.

ولذلك؛ قال الشاطبي – / –: " اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً بالغاً وجعله مناط التكليف، فإذا فُقِد ارتفع التكليف، ويُعَد فاقده كالبهيمة لا تكليف عليه " (٤).

فالعقل جوهرة يتميز بها الإنسان عن الحيوان، وهو مناط الإدراك فيه، فبه يفرق بين الخير والشر، ويميز به الخبيث من الطيب، ومن ثم حرص الإسلام أعظم الحرص على المحافظة عليه، وجعله محل التكاليف الشرعية، إذ قد أسقطها عمن فقده، فقد رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يحلم، والمجنون حتى يشفى من جنونه وقد جعل الله تعالى العقل والرشد معيارا للتصرف في المال

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي: ١٥٠/١، تحقيق: د/ سيد الجميلي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٤هـ .

(٢) الطوفي: ١٨٠/١، ط: ١٤١٩هـ.

(٣) روضة الناظر: ابن قدامة المقدسي: ١٣٧/١، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

(٤) الموافقات: الإمام الشاطبي: ١٣/٣، ط: دار الفكر.

فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾[١] ينهى تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما، أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحجر للصغر؛ فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة يكون الحجر للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه [٢]. وقال تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾[٣] فانظر إلى كلمة ﴿السُّفَهَاءَ﴾[٤]، ﴿رُشْدًا﴾[٥] فالمعيار فيهما العقل وحسن التصرف. قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، والسدي، ومقاتل بن حيان: أي اختبروهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾[٦] قال مجاهد: يعني: الحلم، قال الجمهور من العلماء: البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم، وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد. وقد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – ﷺ – قال: حفظت من رسول الله – ﷺ –: ((لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل)) [٧].

---

(١) سورة النساء الآية (٥).
(٢) تفسير بن كثير: ٢/٢١٤.
(٣) سورة النساء من الآية (٦).
(٤) سورة النساء من الآية (٥).
(٥) سورة النساء من الآية (٦).
(٦) سورة النساء من الآية (٦).
(٧) سنن أبي داود في ج، أ: "بإسناده" برقم (٢٨٧٣).

فمن ذلك يتضح أن أعظم نعم الله على العبد نعمة العقل، وقد أناط الله تبارك وتعالى التكليف جملةً وتفصيلاً على وجود هذا العقل " فالخطاب الشرعي لا يتوجه إلا للعاقل، لأن العقل أداة الفهم والإدراك، وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال. ولذلك قال بعض السلف: " العقل حجة الله على جميع الخلق ". ومن هنا جاءت أحاديث النبي – ﷺ – " ترفع القلم " أي التكليف والمؤاخذة

فعلماء أهل السنة عندما يقولون: لا عقل مع النقل، لا يقصدون منه: أن تأخذ النقل بلا عقل وما قدمنا يدل على أن العقل ضرورةٌ وأساس للتكليف فكيف يفهم كلام ربنا وكلام النبي – ﷺ – بلا عقل؟! فقولهم: (لا عقل مع النقل) أي: لا تقدم عقلك على النقل لا تجعل عقلك قاضياً على كلام النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك قولهم: (لا اجتهاد مع النص) ليس معناه أن تأخذ النص بلا اجتهاد ولا تفكير، وإنما معناه: لكن لا تجتهد اجتهاداً مضاداً للنص.

فمثلاً لو قرأت أنَّ أعرابيًا سألَ النَّبيَّ – ﷺ – عنِ الوضوءِ فأراهُ ثلاثًا ثلاثًا ثمَّ قالَ: ((هَكذا الوضوءُ فمن زادَ على هذا أو نقَص فقد أساءَ وتعدَّى وظلَمَ))[1] .

فالواضح من هذا الحديث: أنه لا يجوز الزيادة على ثلاث مراتٍ في الوضوء، فمن زاد على ثلاثٍ، فقد أساء وتعدى وظلم، فإذا جاء آتٍ وقد قرأ مثلاً حديث علي بن أبي طالب: (أن النبي – ﷺ – توضأ ثلاثاً) فقال: على الإنسان أن يتوضأ ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً حتى يعلم أنه قد أسبغ الوضوء! هذا اجتهاد مراده في هذا الكلام أن تسبغ الوضوء في النهاية، ولو أدى إلى تكثير مرات الغسل،

---

(١) تخريج مشكاة المصابيح: الراوي: جد عمرو بن شعيب، المحدث: ابن حجـــر العســـقلاني: ٢٢٤/١، تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري، الناشر: دار ابن القيم – دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤٢٢هـــ ٢٠٠١م .

فحينئذٍ نقول له: لا اجتهاد مع النص بمعنى لا اجتهاد مضاد للنص، وليس المعنى: خذ النص بلا اجتهاد(١).

ومنح الله الإنسان القوى المدركة المميزة: تميز الإنسان بأنه حيوان ناطق، وهم يعنون بالنطق التفكير، أي أنه مفكر بالقوة، وهو ما يعبر عنه في الاصطلاح الشرعي بالعقل الذي كان مناطا للتكليف.

فالله سبحانه أكرمه وميزه على سائر المخلوقات، فأعطاه المفتاح الذي يفتح به أبواب الملكوت، ويدخل ساحة الإيمان بالله الذي سخر للإنسان كل ما في السماوات والأرض. ولذلك امتن الله تعالى على الناس بهذا العقل، وجعله موضوع المسئولية، فقال: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢)،﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣).

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري: ٢٨٨/٦ – ٢٩١، عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة العظيم آبادي: ٧٢/١٢، ٧٣، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

(٢) سورة الملك الآية (٢٣).

(٣) سورة الإسراء من الآية (٣٦).

ثالثا العلاقة بين الوحي والعقل:

العقل ليس حكَماً مُطلقاً على النّقل:

ألم تر معي في رياضة العدو المُشترك، ينطلق المتسابق الأول مسافةً معيّنةً من الجري، فما إن يصل إلى صاحبه حتى يسلّمه المشعل ليُكمل الطريق ويفوز في السباق ؟

تلك إن أردتَ مثالٌ على علاقة العقل بالنّقل، فالأوّل موصلٌ إلى الرسالة الحقّة، يحسم في أمر الدّين المتّبع، وأي نبيٍّ هو صادق، فلما ينتهي من ذاك فإنّه يسلّم المشعل إلى النّقل، فيكون التّسليم مبدءاً عقليّاً بحتاً. ولا دورَ له في تأمّل الغيبيات التي لا يمتلك وسائل الخوض فيها من أمثال: كيف استوى الله على عرشه ؟ وكيف سيمرّ النّاس على الصراط وهو أرفع من الخيطِ وأشباه ذلك .

لأن العقل يؤمن بصدق المُخبر وأن خالق الكون لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، مطلق الحكمة، ومطلق القدرة، فيكون التّسليم نتيجةً يتوصّل إليها العقل حينها.

ثم إن دور العقل بالنسبة إلى النّقل حينها يكون كآلة استنباطٍ منه، يعمل في ضوء أصولٍ وقواعد معيّنةٍ يتداخل فيها العقليّ بالنّقلي لضبط تلك العمليّة، وضمان عدم تقديم الهوى أو الانحراف في مسائل الاجتهاد، والعقلُ المجرّد أداةٌ قد تصيب وقد تخطيء.

ومن جهةٍ أخرى فالعقل الصريح لا يخالف النّقل الصّحيح، خالق العقول والمدارك، والمتّصفُ بصفات الكمال، فلا يوحي بما يناقض العقل الصريح، لكنَّ التعارض الموهوم لا يأتي إلا حين يكون النّقلُ لا سبيل للعقل أن يخوض فيه، ويُعتبر من محارات العقول، كمعجزة الإسراء والمعراج، وأن يقطع النبيّ مسافات كبيرة في وقت وجيزٍ، فهنا يكون العقل له وظيفة التسليم، ومنه على سبيل المثال، لو جاء أحدهم من عصرنا وقال لأهل عصر الجاهلية إني لجئتُ من المغرب إلى مكّة في يومٍ واحدٍ عبر الطائرة، وكان الرجل صدوقاً، فإن عقولهم لا

تتصور أن يقطع المُخبر في يومٍ ما يقطعونه في أشهرٍ على الجمال . فعلى هذا فقس .ومن هنا قال العلماء أن الأنبياء جاؤوا بمحارات العقول لا بمحالاته، أي أن الأخبار يعلم العقل عدم بطلانها لكنه غير قادرٍ على تصوّرها، ويحير في تخيّلها، يقول الإمام ابن تيمية: " يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته: فالأول من مُحالات العقول، والثاني: من محارات العقول، والرّسل يُخبرون بالثاني [١] .

ويقول في موضعٍ آخر في كتابه: " والأنبياء عليهم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه فيخبرون بمحارات العقول لا بمُحالات العقول " [٢] .

ولهذا ضلَّ من ضلَّ من الفرق الإسلاميّة، حينما أعملوا عقولهم لدرجة إبطال النصوص الصحيحة وتأويلها بما لا تحتمله، كالمعتزلة والمجسّمة وغيرهم .. فالعقل مع النّقل في باب العقائد كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك، لأن الأصل وصف الله – ﷻ – بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به النبي – ﷺ –، نفياً وإثباتا، فنؤمن بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وإثبات الصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، نثبت ولا نشبّه، وننزه ولا نعطل.

لكن في الفرعيات له دورٌ الاستنباط والفهم والتفسير، ونقصد العقلَ المسدَّدَ بالوحي، وليس المجرّد، حيث إن الأول يكون خاضعاً لقواعد وأسس، ومتوسّعاً في العلوم الشرعيّة.

وقال ابن الجوزي قديماً – / –: "ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث

---

(١) انظر: الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): ٣٩١/٤، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، ط: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

(٢) المصدر السابق: ٤٠٠/٤.

يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع " [١] ونقد المتون قد اشتهر استخدامه من قبل الصحابة – ﷺ –، وفي مقدّمتهم أم المؤمنين عائشة وابن عـــباس وعمر – ﷺ – [٢]. وكل ذلك جمعه الإمام الزركشي في "الإجابة".

ولا يُتصوّر معارضة صريح العقل لصحيح النّقل، وهي خلاصة ما استنتجه الإمام ابن تيمية في كتابه فقال: " ما عُلم بصريح العقل لا يُتصور أن يعارض الشرع ألبتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضة معقولٌ صريحٌ قط. وقد تأمّلت ذلك في عامّة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصريحة الصّحيحة شبهاتٌ فاسدةٌ يُعلم بالعقل بطلانها، بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. ووجدتُ ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمعٌ قطّ، بل السمع الذي يُقال إنه يخالفه: إما حديثٍ موضوع، أو دلالةٌ ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرّد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول " [٣] .

وفي صلة العقل بالوحي.. أو في صلة استخدام العقل كمطلوب للوحي:

يرى الشيخ محمد عبده ما رآه " ابن رشد " في القرن السادس الهجري، وما رآه " ابن تيمية " في القرن الثامن من قرون الهجرة، ومن أن النص يجب أن يتفق مع العقل ... يقول: " فقد أمر الكتاب بالنظر واستعمال العقل: فيما بين أيدينا

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبـــد اللطيـــف: ٢٧٤/١، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

(٢) للتوسّع أكثر راجع: الإجابة لما اســـتدركت عائشة على الصحابة للزركشي (ت ٧٩٤هـــ)، تحقيق وتخريج: د/ رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: مكتبة الخـــانجي – القـــاهرة، ط: الأولى ١٤٢١هـــ ٢٠٠١م .

(٣) درء تعارض العقل والنقل(ت ٧٢٨هـــ): ١٤٨/١، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، الناشـــر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية ١٤١١هـــ ١٩٩١م .

من ظواهر الكون، وما يمكن النفوذ إليه من دقائقه، تحصيلا لليقين بما هدانا إليه، ونهانا عن التقليد بما حكى من أحوال الأمم في الأخذ بما عليه آباؤهم، فالتقليد مضلة يعذر فيها الحيوان، ولا يجمل بحال الإنسان " (١)!

ويقول أيضا: " والذي علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد! العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك فنزعات شياطين، أو شهوات سلاطين " (٢) !

ومن هنا كان تعارضُ العقل والنّقل، مجرّد خرافةٍ، أساسها اختلاف مدارك العقول، والتسليم للشّبهات، وعدم الانضباط بالضوابط العقليّة الصريحة، والأساسات المنطقيّة السليمة.

فالوحي بالرسالة الإلهية أثر من آثار الله، والعقل الإنسان أثر أيضا من آثار الله في الوجود. وآثار الله يجب أن ينسجم بعضها مع بعض، ولا يعارض بعضها بعضا !

- لأنها آثار للكامل كمالا مطلقا: والعقل البشري يحيل أن يكون هناك تناقض بين آثار الكامل المطلق؛ لأن التناقض في الأفعال نقص! فلو تعارضت أو تناقضت الآثار الصادرة من مصدر واحد، دل تعارضها وتناقضها على عدم الكمال المطلق لهذا التصرف.
- لأن الوحي مصدر هداية، والعقل الإنساني مصدر هداية أيضا: وكلاهما يهدف إلى تحديد الطريق المستقيم في الحياة للإنسان، وإلى تحديد الغاية الأخيرة في هذا الوجود. وأمران شأنهما هذا الشأن، لا بد أن يتفقا في التحديد الإجمالي – على الأقل – لطريق الإنسان في حياته، وغايته في وجوده(٣).

---

(١) رسالة التوحيد، صـ ١٥.

(٢) السابق، صـ ١٤.

(٣) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي لمحمد البهي (ت ١٤٠٢هـ)، صـ ١٢٥، الناشر: مكتبة وهبه، ط: العاشرة.

فإن بدا أن هناك اختلافا بين تطبيق رسالة الوحي واستخدام العقل، كان منشأ هذا الاختلاف: إما تحريف في نص رسالة الوحي، أو سوء في استخدام العقل، والمحرف للرسالة السماوية، وكذلك المسيء لاستخدام العقل الإنساني، وهو: الإنسان هنا وهناك، وليس الملك الذي نزل الوحي، ولا الرسول المصطفى لتبليغ الرسالة ! طبيعة الوحي يجب أن توافق طبيعة العقل الإنساني إذن؛ لأنهما معا مصدر هداية، صدرا لغاية واحدة من كامل كمالا مطلقا.

وليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية، وليس هناك من كتاب أطلق سراح العقل وأعلى من قيمته وكرامته كالقرآن الكريم: [لعلكم تعقلون]، [لقوم يتفكرون]، [لقوم يفقهون]، إلا أن للعقل مجالاته وحدوده؛ لأنه محدود الطاقات فلا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة على الاستيعاب، فأقام الإسلام العقل مع الاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح، حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب في ذلك، كأمور الغيب مثلاً والروح، وما شابه ذلك، وقد كانت أول معصية لله ارتكبت بسبب عدم هذا الامتثال من قبل إبليس لعنه الله [١]. والواقع أن التعارض بين العقول السليمة وبين الشرع غير موجود، قال ابن تيمية -/ -: (ما عُلم بصريح العقل لا يُتصور أن يعارض الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ... ويقول: (ووجدت ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه: إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة) [٢].

ويقول أيضاً: " وعلى المعتزلة الذين حكّموا عقولهم في نصوص الوحي، ومن ســـار على نهجهم وتتبع خطاهـــم، أن يعلمـــوا أنه لا يوجـــد حديث على وجه الأرض يخالف العقل، إلا أن يكون ضعيفاً أو موضوعاً " [٣]. وأكد هذا المعنى

---

(١) ينظر: منهج المدرسة العقلانية في التفسير: فهد الرومي، صـــ ٢٩ - ٣٩.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية: ١٤٧/١ - ١٥٠.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

ابن القيم – / – بقوله: " إذا تعارض النقل وهذه العقول يعني عقول أهل التأويل والزيغ أُخذ بالنقل الصحيح، ورُمي بهذه العقول تحت الأقدام، وحُطت حيث حطها الله وأصحابها " (١) .

مزاعم العصرانيين ومنطلقاتهم:

طرح العصرانيون تصورات غريبة تحت مزاعم التجديد والتطور، في التفسير والسنة النبوية، ودعوا إلى تطوير أصول الفقه وأصول الحديث النبوي؛ فكانت لهم شذوذات عجيبة في ميادين الفقه المختلفة، كما دعا العصرانيون إلى فصل الدين عن الدولة وأمور الحياة، ودعوا كذلك إلى الوحدة والتقارب بين الأديان . ولكن لما كان للعقول في إدراكها حد تنتهي إليه لا تتعداه، لم يجعل الله لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب (٢) .

فلم يجعل لها سبيلا لإدراك أغلب مسائل الاعتقاد؛ إذ لا يمكن للعقول أن تستقل بمعرفتها ولا مجيء في بعضها ويأتيها العقل وما على العقل إلا فهمها وتدبرها.

وأيضا، فإن كثيرا من مسائل الاعتقاد لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها، ولو فهمت أدلتها وتدبرتها؛ كالروح التي في أجسادنا: عسر على الناس التعبير عن حقيقتها لما لم يشهدوا لها نظيرا (٣).

وكذا صفات ربنا – ﷻ – رغم أننا فهمنا معانيها بعقولنا من اعتبار الغائب بالشاهد، إلا أن حقيقتها وكيفياتها لا تدركه عقولنا؛ لأن العلم بكيفية الصفة

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، اختصار الشيخ موسى الموصلي (ت ٧٧٤هـ)، صـ ٢٨ – ٣٨، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي: ٣١٨/٢، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

(٣) انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، صـ ٢٠٢، تحقيق: طه يوسف شاهين، الناشر: دار الطباعة المحمدية.

يستلزم العلم بكيفية الموصوف. والموصوف – ﷻ – ليس كمثله شيء؛ فهو متصف بصفات الكمال التي لا يماثله فيها شيء(١).

وكذا ما أخبر الله – ﷻ – عنه من أمور الآخرة؛ كالجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، وغير ذلك من المغيبات، ليست من مدارك العقل، ولا في متناوله، مع أن العقل يقر بها، ولا يحيلها (٢).

وإذا كان كذلك، فالعقل مطالب بالتسليم للنصوص الشرعية الصريحة، ولولم يفهمها أو يدرك الحكمة التي فيها؛ فالأمر ورد بقبولها والإيمان بها. فإذا سمعنا شيئا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فمن الله التوفيق، وله الحمد والشكر على ذلك. وما لم ندركه أو نفهمه، آمنا به وصدقناه (٣) .

بقي أن نتساءل: هل يتعارض العقل الصحيح – السليم من الشبهات والأهواء – مع النص الصحيح الصريح ؟

والجواب: تعارض النص الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح غير متصور أصلا، بل هو مستحيل. فإذا توهم التعارض بسبب عدم فهم للنقل، أو فساد في العقل، فإن الوحي مقدم ومحكم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – / –: " فيأخذ المسلمون جميع دينهم – من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك – من كتاب الله، وسنة رسوله، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها. وليس ذلك مخالفا للعقل الصريح؛ فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل. وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل. ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلا، فالآفة منهم، لا من الكتاب

---

(١) انظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية صـ ٤٤، ٤٥، الناشر: مكتبة السنة المحمدية.

(٢) انظر: المصدر نفسه صـ٤٦. المفيد في مهمات التوحيد للدكتور عبد القادر بـن محمـد عطا صوفي، صـ ٢٧، الناشر: دار الاعلام، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ١٤٢٣هـ .

(٣) انظر: صون المنطق والكلام لجلال الدين السيوطي، صـ ١٨٢، تحقيق: د/ علي سـامي النشـار، ود/ سعاد علي عبد الرازق، ط: دار النصر للطباعة – القاهرة .

والسنة "[١].

ولعلنا على ضوء ما سبق نستطيع أن نحدد العلاقة بين الوحي والعقل أو الصلة بينهما. وعلى هذا نفهم ما ورد عن تظاهر العقل والشرع، وعن التكامل بينهما كقولهم: " العقل لن يهتدي إلا بالشـــرع، والشـــرع لا يتبين إلا بالعقل. فالعقل كالأُسّ والشرع كالبناء. ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس.

وأيضا: فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر وإذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما يحصل للبهيمة ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – / –: " العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس " [٢] .

فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان، بل متحدان ... والعقل بنفسه قليل الغناء، لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته، والشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته، ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيء، وما الذي هو مَعْدَلة في شيء شيء.

وعلى الجملة: فالعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات، والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل، وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل، حتى يتنبه لحقائق المعرفة. وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقده، وتارة بالتعليم، وذلك في

---

(١) مجموع فـتاوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية: ٤٩٠/١١، وراجع: مدخل لدراسة العقيـدة الإسلامية، صـ ١٨٩.

(٢) مجموع الفتاوى: ٣٣٨/٣، ٣٣٩.

الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد. فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة، والدال على مصالح الدنيا والآخرة. ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل " (١).

ويبقى أن نؤكد هنا – مرة أخرى – على أنه لا يمكن أن يقع تعارض بين أحكام العقل الصريح والنصوص الشرعية الصحيحة – وفق المنهج الذي سلف في بيان حدود العقل – وهذه المسألة التي وضع لها شيخ الإسلام ابن تيمية – / – كتابه الضخم: " درء تعارض العقل والنقل " أو: " موافقة صحيح المعقول لصريح المنقول ".

وما قد يظهر من خلاف ذلك، فينبغي عند ظهوره ألا نعارض نصوص الشرع بما قد نراه بعقولنا وآرائنا وأقيستنا؛ فإن العقول – كما رأينا – تتفاوت، وليس هناك العقل المطلق الكامل الذي نحاكم إليه هذه النصوص. كما أن العقل نفسه محدود بحدود الزمان والمكان والكيفية، وبحدود وظيفته، ولا يستطيع أن يحيط بغير المحدود الذي يحيط به الشرع أو الوحي.

ولذلك قال الإمام محمد بن شهاب الزهري – / –: " من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم ".

---

(١) تفصيل النشأتين وتحصـــيل الســـعادتين للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـــ)، صـــ ١٤٠ – ١٤٢ باختصار، الناشـــر: دار مكتبـــة الحـــياة، بيروت – لبنـــان ١٩٨٣م، وهو بنصـــه في: معارج القدس في مدارج معرفة النفس لأبى حامد الغزالي، صـــ ٥٧ – ٥٩، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الثانية ١٩٧٥م، وراجع: الحقيقة في نظر الغزالـــي، د/ سليمان دنيا صـــ٢٨٠، ٢٨١، ط: دار المعارف ١٩٩٨م .

" وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد. بل هو دون ذلك بكثير؛ فإن العامي يمكنه أن يصير عالما، ولا يمكن العالم أن يصير نبيا رسولا " (١).

والخلاصة أن العقل من أكبر النعم التي ميز الله بها الإنسان وأننا لا نعرف حقيقته ولكن بإمكاننا الاستفادة منه والاهتداء به حينما نعرف حدود قدرته وحينما نربطه بالاستفادة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه – ﷺ –.

هل وُفِقَت العقلانية إلى الحق بالنسبة لموقفهم من العقل ؟

وإذا كانت العقلانية فكرة قامت على دعوى احترام العقل والاستفادة منه فهل وفقت فعلا إلى احترامه الاحترام الذي يليق به ؟ وهل استفادت منه الفائدة الصحيحة والجواب عن هذا السؤال يتطلب أولاً معرفة مدى قدرة العقل في بيان الأمور وإيضاحها وقد علمت أن العقل مر بمراحل في مفاهيم الناس في أوربا.

- فمنهم من غلا في تقديسه.
- ومنهم من غلا في احتقاره.
- ومنهم من اعتمده لكن بشرط أن يقترن بشهادة التجربة له.
- ومنهم من استبعده تماما.

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهانى (ت ٥٣٥هـ): ٣١٧/١ وما بعدها، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية – السعودية – الرياض، ط: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، فتاوى ابن تيمية: ٢٨/٥ – ٣٠، ٤٤٠/١٦، ٤٦٣، ٤٦٩، مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): ١١٢/٢ وما بعدها، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الموافقات: ٨٧/١، = = مقدمة ابن خلدون: ٨٢٥/٢، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: أ.د/ مصطفى حلمي صـ٢٥٣ –٢٥٧، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د/ يوسف العالم، صـ ٣٤٤ – ٣٥٠.

وإنما كلها تخبطات جاهلية وإن الله تعالى وفق المؤمنين إلى الحق في تقديره وفي الاستفادة منه.

أما الذين غلوا في تقديسه فقد ارتكبوا خطأ فاحشا إذ تصوروا أنه لا حدود لمعرفته فذهبوا يبنون عليه كل ما يريدون ويحملونه ما لا يحتمل ومن هؤلاء الغلاة العقلانيون الذين أحلوه محل الإله في القداسة وهو صاحب التشريع عندهم إليه يتحاكمون وإليه يفوضون، وقد عرف عن فرقة المعتزلة تأثرهم بهذا الاتجاه فهو عندهم مقدم على النصوص في حال الخلاف لدلالات مرفوضة لا لزوم لذكرها وتقديسه إلى هذا الحد لا شك أنها مكابرة خاطئة إذ المعلوم أن العقل له حد إذا تجاوزه انقلب إلى الجهل(١).

– وأما الذين غلوا في احتقاره وزعموا أنه لا قيمة له في المعرفة بل يجب اتهامه ولا يعول عليه فقد عرفت أن على رأس هؤلاء طغاة رجال الدين لوقوفهم إلى جانب العقل في معرفة العقلانيين ساموهم سوء تعليلات الكتاب المقدس والسبب غير خاف على القارئ فإن الدين النصراني – بعد أن حرفه بولس – أصبح في غاية التناقض والاضطراب بل إن فهمه استعصى على كبار علمائه فإن العقل لم ولن يدرك أن الثلاثة واحد وأن شرب الخمر وأكل الخبز هو شرب لدم المسيح وأكل للحمه وأن المسيح صلب ليكفر عن خطايا البشر من سبق ولادته ومن جاء بعدها وخرافة صكوك الغفران وغير ذلك من الآراء السخيفة الغامضة التي قام عليها الدين النصراني(٢).

ومن هنا قرر رجال الدين بالقوة أن يضحوا بالعقل لتقوية خزعبلات بولس فكانوا كلما أشكل عليهم فهم قضية في دينهم وأبى العقل قبولها سارعوا إلى مقالتهم المشهورة – اتهم عقلك– وكان لزاما أن يحتقروه في مقابل دينهم وهو

---

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة – الدرر السنية: ١/٤٠٠، (بترقيم الشـــاملة آليـــا) بتصرف.

(٢) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة – الدرر السنية: ١/٤٠٠.

ما تم بالفعل ولم ينقذه من هذا الاحتقار إلا قيام صحوة العقلانية في أوربا مرة أخرى حينما ضعف سلطان الكنيسة إلا أن هذه الصحوة كانت هوجاء لا تلوي على شيء فهي رج عنيف لكتب العقل وجاءت كالمارد الجبار حرب لا هوادة فيها على الظلم الذي وقع على العقل وعلى الدين الذي اتهمته أنه كان المشجع القوي على إقصاء دور العقل وهو المزلق الخطير الذي سار فيه الهاربون من الدين " الكنيسي "[١].

– وأما الذين اعتمدوا العقل لكن بشرط أن تشهد له التجربة فهي نقلة من النقلة التي مر بها العقل في المفهوم الأوربي وكأن هؤلاء أرادوا أن يتوسطوا بين رفض العقل أو اعتماده فاعترفوا بفائدة العقل لكنهم لم يثقوا به تماما فقرنوه بشهادة التجربة له وظهرت هذه النقلة حين بدأ العلماء التجريبيون في استظهار هذا العلم وتطويره.

ولا يخفى ما في هذا المسلك من الغموض إذ العلم التجريبي لا يمكن أن يقوم أو يؤتي ثماره إلا على أساس العقل فهو المدبر والمستنتج وعليه يقوم التفكير وبدونه لا يمكن لأي تجربة أو عمل أن تتم على الوجه الصحيح فكيف ساغ لهم هذا الوقوف في منتصف الطريق ؟ وبالنسبة للعلم التجريبي فقد ثبت بما لا ريب فيه أن المسلمين هم الذين اخترعوه وسبقوا إليه وأفادوا واستفادت أوربا منه الأساس لحضارتها الحالية كلها ثم تنكرت له شأن التلميذ العاق[٢].

وقد عرفنا أن العلم التجريبي كان باعثا للمسلمين على زيادة الإيمان بالله تعالى فما أن يكتشفوا شيئا إلا وطأطأوا رؤوسهم إجلالا لله وشكرا له وزادهم إيمانا وتسليما.

أما الحضارة الأوروبية الهاربة من الدين والإله فقد زادهم العلم التجريبي واكتشافاته بعدا وطغيانا وكفرا واعتقدوا أنهم أصبحوا في غنى عن كل شيء

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة – الدرر السنية: ١/٤٠٠ بتصرف يسير.

يتصل بالإله والدين وفسروا كل ما مكنهم الله من اكتشافات على أنه يؤيد كفرهم واستغناءهم عن الله تعالى.

– وأما الذين هداهم الله إلى الحق فهم طائفة أهل السنة والجماعة الذين تأتي أحكامهم دائما بهدوء وتعقل ومقارنة وهؤلاء لم يغلوا في تقديس العقل ولم يغلوا في احتقاره بل العقل عندهم من أكبر النعم الإلهية وعليه قيام المعرفة ويجب الاستفادة منه كما أمر الله بذلك في كتابه الكريم وفي سنة النبي العظيم – ﷺ –(١).

لكنهم لا يختلفون أن العقل له دور في المعرفة والهداية محددا إذا تجاوزه انقلب إلى الحمق والجهل وإذا وقف عند حده كان دلالة على جودته وصفائه والأمثلة على هذا كثيرة جدا ومن أقربها ما وقع بين الفرق الإسلامية من اختلاف في الواجب على المسلم تجاه الإيمان بصفات الله تعالى فمنهم من تجاوز حدود العقل في طلب المعرفة فنفى أسماء الله تعالى وصفاته وعطلها عن معانيها ومدلولاتها وظن أنه وصل إلى علم عزيز وتنزيه لله عظيم ومنهم من أثبتها وأثبت مدلولاتها وأنها لا تختلف عن أسماء وصفات المخلوقين فوقع في حمئة التشبيه البغيض وظن أنه وصل إلى علم عزيز وكان الجميع على باطل وجهل وحمق بسبب تجازوهم حد معرفة العقل .

وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى المعتقد الصحيح الذي يوفق بين النصوص فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه دون تعطيل ولا تشبيه وقالوا معرفة الصفات فرع عن معرفة الذات فكما أننا لا نعرف ذاته فكذلك لا نكيف صفاته مع معرفتنا بمعانيها ولكن المجهول عنها هو تلك الكيفيات لسمع الله وبصره ونزوله ورحمته ... إلى آخر الصفات الإلهية، وهذا هو الحق الذي يجمع بين النصوص كلها والعقل أيضا يؤيد هذا الموقف ويرتاح إليه.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – النـــدوة العالميـــة للشباب الإسلامي، صـــ ٢٤٥.

فلو سأل الله الشخص: لماذا أثبت لي السمع والبصر والكلام ... إلخ ؟ وأجابه بأن أنت الذي أثبتها لكان جوابا حقا.

ولو قال له لماذا لم تثبتها كصفات المخلوقين ؟ وقال له لم أجد نصا يفيد ذلك مع معرفتي بالفرق الهائل بين المخلوق والخالق لكان جوابا موفقا.

وكذلك لو قال الله له: لماذا لم تنف عني مدلولات تلك الصفات ؟ فأجابه بنفس الجواب السابق لكان جوابا موفقا [١].

ومن هنا يتضح أن الإســـلام لا يحتقر العقل ولا يرفعه فوق منزلته وهذا هو الحق والصواب بخلاف ما وقفه العقلانيون منه فإنه باطل وقاصر عن الحق وتعد عليه سواء الذين احترموه أو الذين احتقروه لأن هذا الموقف منهم لم يبن على هدى من الله تعالى وإنما بني على الأمزجة والهوى وهما من أكبر مصادر الجهل.

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – النـــدوة العالميـــة للشباب الإسلامي، صـــ ٢٤٥.

الخاتمة

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات، وتحقيق الطيب من الأمنيات، فنسأله سبحانه أن يجعل آخر أعمالنا خواتيمها، وأن يجعل آخر أعمارنا أواخرها.

وبعد،،،

فهذه خاتمة لدراستنا حول موضوع: عناية الإسلام بالعقل وكيفية المحافظة عليه وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج الآتية:

١- إن الإسلام قد كرم العقل الإنساني، وأطلق حريته في الإبداع وتصور ما يتفق مع متطلبات الحياة في كل عصر، وبذلك قد نوه القرآن الكريم بالعقل وعول عليه في أمر العقيدة، وجاء التنبيه بالرجوع إليه في كثير من الآيات.

٢- العقل هو ملكة الإدراك والفهم والتصور والرشد، والاستفادة من هذه الوظائف العقلية أمر يفرضه الإسلام، والعقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل.

٣- أهتم الإسلام بحفظ العقل وجعله جزءا من حفظه للنفس.

٤- قد أناط الله تبارك وتعالى التكليف جملةً وتفصيلاً على وجود هذا العقل فالخطاب الشرعي لا يتوجه إلا للعاقل، لأن العقل أداة الفهم والإدراك، وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال.

٥- الوحي بالرسالة الإلهية أثر من آثار الله، والعقل الإنساني أثر أيضا من آثار الله في الوجود. وآثار الله يجب أن ينسجم بعضها مع بعض، ولا يعارض بعضها بعضا وبهذا فإن التعارض بين العقول السليمة وبين الشرع غير موجود .

وفى الختام نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل طالب حقيقة وعلم سديد .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر المجلين .

فهرس المصادر والمراجع

١. الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: د/ رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .
٢. الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: د/ سيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٤هـ .
٣. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٤. آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»، المؤلف: د/ ليلى عبد الرشيد عطار، الناشر: منشورات أمانة للنشر، ميريلاند – الولايات المتحدة الأمريكية، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م.
٥. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٦. الأساس في التفسير لسعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: السادسة ١٤٢٤ هـ.
٧. الأساس في السنة وفقهها، قسم العقائد لسعيد حوى (ت ١٤٠٩هـ)، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
٨. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية: د/ عبد الحميد الصيد الزنتاني، ط: الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس، ط: الثانية ١٩٩٣م.
٩. أصول الدعوة وطرقها، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
١٠. الاعتصام للشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

١١.إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٩٨٧م .
١٢.بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية، تحقيق: د/ موسى سليمان الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، ط: الأولى ١٤٠٨هـ .
١٣.تاريخ الفكر الديني الجاهلي لمحمد إبراهيم الفيومي (ت ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، ط: الرابعة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
١٤.تخريج مشكاة المصابيح: الراوي: جد عمرو بن شعيب، المحدث: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري، الناشر: دار ابن القيم – دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
١٥.تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
١٦.التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥هـ .
١٧.تفسير ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) للسعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
١٨.تفسير ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)) للإمام عبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩هـ)، حققه علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
١٩.تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، تحقيق: طه يوسف شاهين، الناشر: دار الطباعة المحمدية.

٢٠. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان ١٩٨٣م .
٢١. التفكير فريضة إسلامية للأستاذ/ عباس محمود العقاد، ط: مؤسسة هنداوى ٢٠١٢م .
٢٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
٢٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، ط: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
٢٤. الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية – السعودية – الرياض، ط: الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٢٥. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، تحقيق: د/ مازن المبارك، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ.
٢٦. الحقيقة في نظر الغزالي: د/ سليمان دنيا، ط: دار المعارف ١٩٩٨م .
٢٧. درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م .
٢٨. الذين يلحدون في آيات الله للدكتور/ كامل سعفان، ط: دار المعارف ١٩٨٣م.
٢٩. الرسالة التدمرية لابن تيمية، الناشر: مكتبة السنة المحمدية.
٣٠. رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ط: دار المعارف بمصر.

٣١.روضة الناظر: ابن قدامة المقدسي، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .
٣٢.زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، ط: ٢٠٠٨م .
٣٣.سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٣٤.سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر .
٣٥.سنن الترمذى لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م .
٣٦.سنن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .
٣٧.شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن عبد السلام، ط: دار الكتب العلمية .
٣٨.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٣٩.صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .
٤٠.صحيح البخاري، المسمى ((الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه))، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ .

٤١. صحيح سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية ١٤٠٨هـ.
٤٢. صون المنطق والكلام لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د/ علي سامي النشار، ود/ سعاد علي عبد الرازق، ط: دار النصر للطباعة، القاهرة.
٤٣. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي – د/ عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤١٣هـ .
٤٤. طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها، د/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم، الناشر: وكالة المطبوعات، ط: الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
٤٥. العقلانيون أفراخ المعتزلة الجدد لعلي حسن الأثري، الناشر: مكتبة الغرباء الإسلامية – المدينة .
٤٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب العظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٤٧. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي لمحمد البهي (ت ١٤٠٢هـ)، الناشر: مكتبة وهبه، ط: العاشرة.
٤٨. في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب (ت ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط: السابعة عشر ١٤١٢هـ.
٤٩. القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم – دمشق، ط: الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٥٠. قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي: أ.د/ مصطفى حلمي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٥١. كتاب التوحيد المسمى بـــ ((التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد)) لعمر العرباوي الحملاوي (ت ١٤٠٥هـــ)، الناشر: مطبعة الوراقة العصرية ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م .

٥٢. كتاب براهين وأدلة إيمانية للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط: دار القلم، دمشق ١٩٨٧م .

٥٣. كتاب غرائب العقل: تأليف: بنفلد، ط: ١٩٧٥م.

٥٤. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـــ)، ضبطه وفسر غريبه صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا، ط: مؤسسة الرسالة.

٥٥. لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـــ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـــ.

٥٦. الله في العقيدة الإسلامية، للبنا، ط: دار العلوم للطباعة .

٥٧. مجلة البحوث الإسلامية، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، مصدر الكتاب: موقع الإفتاء – ملتقى أهل الحديث .

٥٨. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت، (بترقيم الشاملة آليا).

٥٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـــ)، تحقيق: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـــ ١٩٩٥م .

٦٠. مختار الصحاح لأبى بكر الرازي، ط: بيروت .

٦١. مختصر الصواعق المرسلة، اختصار الشيخ موسى الموصلي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٦٢. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د/ عثمان جمعة ضميرية، تقديم: د/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط: الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٦٣. مذاهب فكرية معاصرة لمحمد بن قطب بن إبراهيم، الناشر: دار الشروق، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
٦٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
٦٥. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٦٦. معارج القدس في مدارج معرفة النفس لأبى حامد الغزالي، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الثانية ١٩٧٥م .
٦٧. المعجم الأوسط للطبرانى لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله ابن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.
٦٨. المغني للإمام ابن قدامة المقدسي، ط: ١٤١٠ هـ.
٦٩. مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٠. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.

٧١. مفهوم العقل والقلب في القرآن والسُّنَة لمحمد علي الجوزو، ط: دار العلم للملايين، بيروت، ط: الأولى ١٩٨٠م.

٧٢. المفيد في مهمات التوحيد للدكتور/ عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الاعلام، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ١٤٢٣هـ .

٧٣. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د/ يوسف حامد العالم، ط: ١٤٠١هـ ١٩٨٢م .

٧٤. مقدمه ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون المغربى، ط: دار بن خلدون، الاسكندرية.

٧٥. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٧٦. منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، المؤلف: د/ مصطفى محمد حلمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٦ هـ.

٧٧. الموافقات: الإمام الشاطبي، ط: دار الفكر.

٧٨. المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٧م.

٧٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٨٠. موسوعة فقه القلوب لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية .

٨١. النبوات لابن تيمية، ط: المكتبة السلفية ١٣٨٦هـ.

٨٢.نظرة الشريعة الإسلامية إلى المخدرات – رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية.
٨٣.نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة: الكتاب الثالث: أصل المعرفة طرقها وأنواعها، د/ راجح الكردي، دار الفرقان، عمان، ط: الثانية ٢٠٠٣م.
٨٤.الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	رقم الصفحة
١	**المقدمة**	١٥٣٣
٢	**التمهيد**	١٥٣٥
٣	**أولا:** مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح.	١٥٣٥
٤	**ثانيا:** مفهوم العقل في القران والسنة.	١٥٣٨
٥	**المبحث الأول**: مكانة ومنزلة العقل في الاسلام.	١٥٤٩
٦	**المبحث الثاني:** تشريعات الاسلام لحفظ العقل الإنساني.	١٥٦٨
٧	**المبحث الثالث**: مجالات العقل في العقيدة الاسلامية.	١٥٨١
٨	**الخاتمة**	١٦٠٩
٩	**قائمة المصادر والمراجع**	١٦١٠
١٠	**فهرس الموضوعات**	١٦١٩

تم بحمد الله